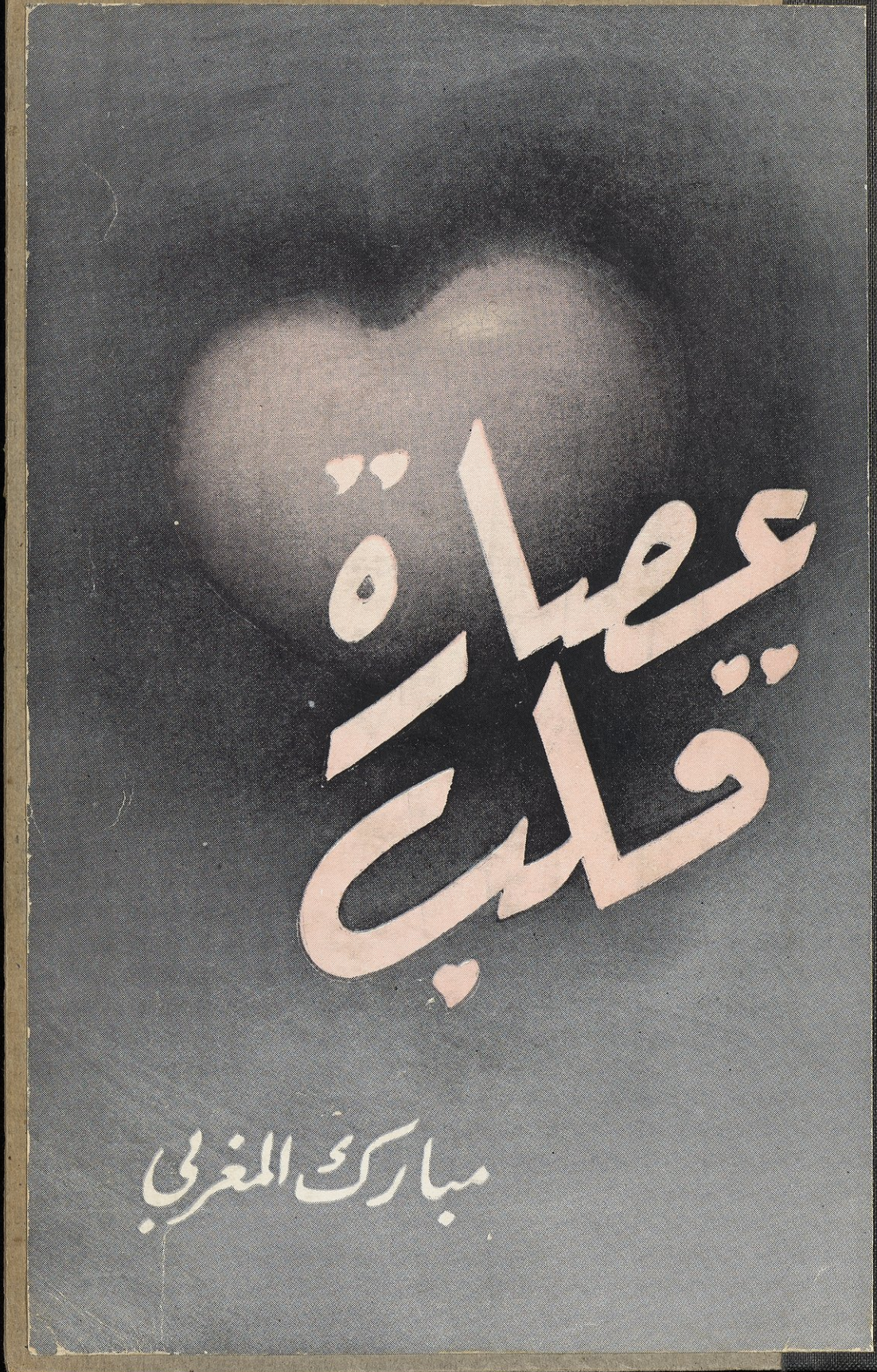
عصفة قلب
مبارك المغربي

2272
.22
.349

2272.22.349
Maghribī
'Isārat al-qalb

DATE ISSUED | DATE DUE | DATE ISSUED | DATE DUE

Princeton University Library
32101 074076678

al-Maghribī, Mubārak

مبارك المغربي

عصارة قلب

ʿIṣārat al-qalb

الطبعة الأولى

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

القاهرة
مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية
٤٠ شارع نوبار باشا (سابقا شارع الدواوين)
١٩٥٤

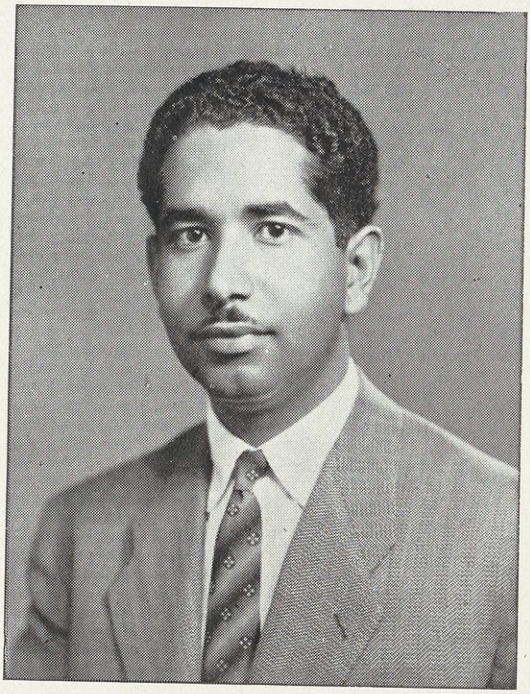

المؤلف

الإهـــداء

إلى من أملى عليّ هذه العصارة
ذكرى .. لا يزيدها تطاولُ العهد
إلا زَكاء على زكاء ؟

٦٦٥ ٩٥-٨٢-٩
2272
.22
.349

مقدمة

بقلم شاعر مصر الكبير الأستاذ عزيز أباظة

مما يفجِّر ينابيع الحكمة فى النفس ، ويبعث إشراق الجمال فى القلب ، وينشر بُلجة الإلهام فى الخاطر ، ويبسط ظلال المتعة فى المشاعر ، أن ينصهر قلب شعشعته العواطف فى بوتقة الحياة ، فيحول خفقانه إلى لحن جذاب ، وإيقاع خلاب ، ومناجاة ملهمة ، تنفعل لها الأحاسيس ، ويتجاوب لرنينها الزمن .

ولقد تمثل ذلك فى ديوان « عصارة قلب » للأستاذ الشاعر « مبارك المغربى » حتى تكاد معانيه تشف عن خلجات رقراقة ، ونزعات جياشة ، ومقدرة يغذوها الإلهام ، وتمدها الطبيعة بروافد من الذوق الجميل ، والفن الأصيل ، فلا غرو — وقد شغفنى الديوان إعجاباً بصاحبه — أن أوثره بما أملك من تقدير .

وإن نشأة الشاعر على ضفاف النهر الخالد ، قد أسبغت على ملكاته قسطاً وافراً من رهافة الحس ، ورقة الروح ، وصفاء القريحة ، وسمو الذوق ، ونبل العاطفة ، وتلك عناصر الشعر الممتاز ، وخصائص الشاعر الخالق ، فلم يندفع مع المجددين فيما يُعجِم ولا يُفهَم ، ولم يتخلف مع المتزمتين فيما يأسن ولا يروق ، بل أخذ من كل شىء أحسنه وأنقاه ، أخذ من الجمال فتنته ، ومن الحب طهارته ومن الطماح مضاءه ، ومن الوطنية أجيجها ، وأخرج من تلك الألوان الشفيفة العنيفة ، شعراً فى الأغلب الأعم نقياً من الشوائب ، خالصاً من الإسفاف ، لا يمل القارىء حلاوة جرسه ، ولا يسأم الذواقة اجتلاء معانيه .

ولست أبغى بهذه الكلمة تقديم الشاعر إلى القراء ، فحسبه تلك الطاقة الفنية تتحدث عنه ، وترمز إلى مواطن السمو فى ملكاته ومواهبه ، وما أبلغ الربيع تروى عنه نضارته ، والضياء تومىء إلى كنه جماله أشعته ، فمنذ اللحظة الأولى لمعرفتى بالشاعر ، وأنا أقدره حق قدره ، وأعرف له تلك المكانة الممتازة فى عالم الفن والأدب ، وأكاد أستشرف يوماً قريباً يتغنى فيه السودان بشاعره المجيد ، مزهواً بتلك القيثارة الفريدة ، مختالا بذلك اللحن الرقيق .

وكان بودى لو أقدم للقارىء نماذج من شعره ، لتتأصل المشاركة الوجدانية بينى و بينه ، ولكن بعد استيعابى للديوان ، لم أعرف ماذا أقدم وماذا أدع ، .... فالديوان أشبه بروضة مثمرة يانعة ، لا يغنى فيها جمال عن جمال ، مهما تباينت الصور ، وتنوعت الطعوم والأذواق ، فهو حقاً « عصارة قلب » تخاطب القلوب فى يسر ، وتمتزج بالأحاسيس والمشاعر دون كلال .

فمما قال فى قصيدة « فتنة الهوى » :

فتن القلب وارتحل وتوارى على عجل
ومضى فى طريقه .. لا يبالى بما فعل
آه من خده النضير ومن طرفه الخجل ! !
وهواه الذى أقام معى بعدما رحل . . . .

ومن قصيدة « أين قلبى » :

نافر ألهب وجـــدانى ولم يسمح بقرب
يملك الورد ولا أملك إلا حر قلبى

إن تحدثت إليـه بحديث لا يلبى !!
أو طلبت الود منه راح فى دَلٍّ ومُعجب
ذنبه عندى مغفـــور ولا يغفر ذنبى

والحقيقة التى لا مراء فيها ، أن يد الله منذ الأزل ، قد ربطت بين الشعبين الشقيقين برباط من المحبة والألفة والإخاء ، فجرى النيل خصباً فى الأرض ، وحياة فى النفوس ووحياً فى المشاعر ، ورمزاً عالياً لأواصر وثقها الله ، ووشائج باركتها السماء ، على أن جمال الحياة بين البلدين ، يتسق ضوؤه ، ويأخذ سمته الرفيع ، إذا نبغ فى كليهما شاعر ، يجمع القلوب ببيانه على الخير ، ويدفع العزائم نشيده إلى الحرية ، فهو بريشته الملهَمَة المبدِعة ، يستطيع أن يصور خلجات الود النابض فى الدماء ، ويترجم خوالج الحب الكامن فى الحنايا ، وحينئذ يضفى على الوحدة المقدسة ألواناً من الجمال ، ويسبغ على الإخاء المعرق ظلالاً ندية من الثقة الخالصة ، والإيمان الصادق ، واليقين المطلق .

ومن جميل المصادفات أن يولد هذا الديوان ، والقطر الشقيق يستاف عبير الحرية ، ويُمتع ناظريه بأنوار البعث الجديد ، فقد هب من رقدة طال بها الأمد ، يمزق الصمت الذليل بنداء الحياة المنبعث من روحه ، ويصدع الليل الغاشم بشعاع الطموح المتفجر من أحلامه وأمانيه ، فطوبى للسودان بنهضته الميمونة ، ومرحى بشاعره النابه ، فتلك — وأيم الحق — تباشير عهد يتسم بالتقدم ، ويتصف بأسمى مقومات الحياة .

عزيز أباظه

هذا الشعر

أنا أوقفتُ حيـــاتى للمعـــانى الساميات
للإلٰه البـــرِّ . . ذى الاعجـــاز ربِّ الكائنات
للجمال النضر فى كل المجـــالى والجهـــات
للعـــلا والمجد . . للسودان مهـــدِ المكرمات
إنّ هـــذا الشعر نورُ القلب يجرى من لَهاتى
فيه من ســـالف أيامى حبيبُ الذكريات
لم أرِدْ مالاً فمجـــد الشـــعر أغـــلى أُمنياتى
غاية الآمال أن أنشـــر يوماً أغنيـــاتى
وأباهى بالذى أسمعُـــه عن صـــدحاتى
إنها رغبـــةُ أحبـــابى وأفراحُ لِداتى
وابتهاجُ النفس فى آفاق عمـــرى القعِسات !

إنه نظمُ فـــؤاد مفعمٍ بالصـــبوات
حبُّه باقٍ وإن أدبر سربُ الظَبَيـــات
فيـــه ما فى الخلد من سحر . . وطهر . . وصـــلاة
فيـــه ما فى الروض من عطـــر ندىِّ النفحات
فيـــه بين الدمع والآهات ســـحر البسمات

إنه — إن ثار — كالبركان جمّ الفتكات
وإذا ما رقّ كالواحة فى قلب الفلاة
إنه يا صاح سِفْرٌ من جهاد السنوات
بعضُه أنشأتُه والعمر غضُّ الثمرات
لم أكن صِنوَ المعاصى أو حليفَ النزوات
إن هذا الشعر تصويرٌ فريدُ الخطرات
كل بيتٍ فيه كالمرآة مصقولِ السِّمات !

إيه يا قارىءَ شعرى خذْ من الشعر .. وهات
هات ما قد جال فى ذهنك عن وحى شكاتى
هات من مدحك ما يُرضى محبًّا ذا وشاة
هات من نقدك إرشاداً وتشجيعاً لآت !
واعفُ — أو لا تعفُ — عما ضمه من هفوات
لم أزل أخطو بشعرى نحو أعلى الدرجات
نحو مجد لم يؤاتِ الآن — لكن سيؤاتى !
سوف يفنى هيكلى يوماً ولن يَفنى رواتى !
يذهب العمرُ ويبقى المجدُ عنوانَ الحياة ! !

لحن الأمانى

إليـــــكَ أبثُّ أحزانى وأشكو حرَّ وُجـــــدانى
وأسألُ عنك — يا دنيـــــايَ — في سرى وإعـــلانى
لأهـــديكَ الذى ألهمت من عُـــلْوىٍّ ألحـــانى
وأنظرُ هـــل عرفتَ الحبَّ أم مازلتَ تنســـانى !
كتمتُ هواك عن صحبى فـــدلَّ عليَّ كِتمانى
وهل يخـفى على الخـــلان ما غـــيَّرتَ من شانى ؟

رفاقَ الحىِّ إن الحىَّ بعـــد اليـــأس منَّـــانى
وإغراء العيون النجْـــل بالآمـــال أغرانى
فـــدلونى على ذاك الذى قـــد زاد تحنـــانى
على من أشـــعل النيرانَ فى قلبى .. وخـــلّانى
يجـــود بطيفه المحبوب فى حُـــلمى .. فيلقَانى
ويسلمُنى — هـــداه الله — فى صحوى لأشـــجانى
فكيف أحـــلّ هجرانى ؟ وكيف أباح نســـيانى ؟
وكيف أُطيقُ — بعـــد اليوم — إبعـــادى وحرمانى ؟!

أتعـــلمُ يا حبيبَ النفس أن هواكَ أحيـــانا
وأن لحـــاظَكَ[1] الفتـاك أشـــجانى وأروانى !
شهدتُكَ ليـــلة أذكت لهيب الخافق العـــانى
فهِمْتُ بما حبـــاك اللـــه من حسن وإحسـان
وخِفْتُ عليك من وجدى ومن مشـبوب نـيرانى
وخفتُ على فـــؤاد مرهـــفِ الإحساس حنَّـــان
ألا ليت المنى تـــدنو وَترنو حـــرٌّ ظمآن
وليتـــك مثلما أرعاك — رغم البين — ترعانى ! !

يا طيف

رأيتُكَ فاستبشرتُ أنك ســـائلى عن السر فى حُزني وماجدَّ من أمرى
وقدَّمتُ ـ كى ترضى ـ اعتذاراً لغيبتى وما كنتُ ـ لولا الحبُّ ـ ألجأ للعذر
فكان جزائى أن مضيتَ وزِدْتَنى عذاباً بما ألقيتَ من نظَر شزْر
فبالله أصدِقْنى — فديتُك — ما الذى جنيتُ . . فتلقانى بعزة ذى الكِبْر ؟
بنفسىَ من لا أنثنى عن وداده وأُهديه إخلاصى فيسعى إلى الجور
إذا هو أقصـــانى وعذَّب مُهجتى فهيهات أن يرتاح قلبى إلى الغـدر
لى الله ضـــاعت فى الغرام مذاهبى وشاه شـــبابى وهو فى نضْرة العمر
فياطيفَ من أهواه إن كنتَ سامعى أغثنى . . فما لى عن جفائك من صبر !

---

(١) لحاظ مفرد وجمع .

هـــذا مذهبى

مثيرَ الجوى يا مثـــير الجوى ... أتعجبُ من قلبيَ المعجب !
ولا تستجيبُ لداعى الهـــوى ... وتصفحُ عن عاشق مذنب
رأى فى جبينـك لمّا رأى ... سنى البرق يُسفر عن كوكب
أنا المتمنِّى وأنت المـــنى ... وإن ضاع — فيما أرى — مذهبى
ســـأهفو إليك على علـــتى ... سأهفو وإن لم تُجِبْ مطلبى !
فيا سائلى لا تُـثِر خاطرى ... كفانىَ ما صنع الوجـــدُ بى
لقد بدّلتنى صروفُ الهـــوى ... هوى وطنى وهوى « زينبى » !

وشـــتانَ بين جمال سما ... وعزّ على العاشـــق المُغْـرَم
وبين جمـال يُبيح اللقـا ... ءَ وتفْتِنُـــه رنّةُ الدرهم
جمالان .. هـذا جمالُ الخدو ... ر يُفـــدِّيه طلّابه بالدم
وهـــذا جمالُ السـفور الطلي ... ق .. جمالُ التـــبرُّج والمأثم
أحبُّ — على الجَوْر — أهلَ الحِمى ... فهم منيـــةُ الشـــاعر الملهم
وهم فى فؤادى وإن أحجموا ... وهم رغمَ حرِّ النـــوى مغنمى
وما بى لغربيـــةٍ من هوىً ... هوى النيـــل يا صاح لم يرحم !

وهـــذا المحجّب فى طُهـره ... لكم شـــفّنى طولُ هجـرانهِ
وكم ألهم النـاىَ من ســحره ... فدان القريضُ لألحـــانه

وكم علّم القلب ألّا يَلينَ ... ولقّنه حبّ سودانه
له بسمةُ الروض عند الصبا ... ح يُحيي بها سربَ أخدانه
أحبُّ الوداعةَ فى طبعه ... وأهوى التثنِّيَ فى بانه
وأهفو له رغم هذا الدلا ... ل عساه يَرِقُّ لولهانه
وأقسمُ أنى به مدنفٌ ... وأنى الفِداء لأوطانه !

تماثل ذكركَ فى خاطرى ... يجدِّدُ للنفس بلبالَها
وأنّى لنفسىَ أن تستفيـ ... ـقَ وتنسى الصبابةَ . . أنّى لها ؟
أُهيمُ بليلاىَ رغم المطا ... لِ وما زلتُ أرقبُ إقبالها
وهل حبُّها غيرُ حبِّ الأد ... يم رعاها وأنبتَ أمثالها ؟
وهل حبها غير حب الإلـ ... ـه براها وأبدع تمثالها ؟
بلادى أجودُ لها بالحيا ... ة ويجزعُ قلبى لما نالها
إذا نحن لم تصفُ منا النفو ... سُ . . فمنْ ذا يُحقِّق آمالها ؟!

السعادة

ليس السعادةُ فى مالٍ تكدِّسُه ... فالمالُ مجلبةٌ للهم والسهر
أو فى مُقام كبير يقْتضى حِيَلاً ... إن زال خلّف إنساناً بلا أثر
أو فى المظاهر كم من مظهر عَجَبٍ ... أودى بصاحبه فى لُجّة الخطر
إن السعادةَ فى قلب يحرِّكه ... حبُّ الطبيعةِ من ماء ومن شجر
فامنحْ فؤادَك قسطاً من مَباهجها ... ترَ الحياةَ نعيماً باهرَ الصور
السحرُ يكْمُن فيها غيرَ مصطَنع ... فى مشهد النهر أو فى منظر القمر
من خلّد الفنّ فى أبهى مَفاتنه ... من صوَّر الحسنَ فى آياته الغرر ؟
سرُّ السعادة إدراكٌ ومعرفةٌ ... من يعرفِ اللهَ يأمنْ خدعَة البشر !
إن الطبيعةَ تَشفى كلَّ ذى نَصَبٍ ... من السَّقام وتُحيى راكدَ الفِكَر
هبْنِي المناعةَ فى الجسم الصحيح وفى ... النفس الطليقة فى كوخ من الشَعَر !!

نزعةُ نفس

زمنى قضى ألّا أعيشَ منعّما ... وأبيْتُ ـ رغم قضائه ـ أن أحجما
ما أنتَ يا دهرى ! عدمتك صاحباً ... أقعدتنى عن كل ما يحمى الحمى
كيف الصراحةُ والبلاغةُ والنهى ... وأنا الذى عوّدتُ أن أتلعثما
قلبى تنزَّهَ عن أباطيل الورى ... فبدوتُ من فرط النزاهة مُجرما
وأنا فتًى وجهتُ وجهىَ خالصاً ... لله . . أستوحى الجلالَ الأعظما
تبغى الهدى نفسى ويطّلِب العلا ... طبعى . . وأشقى كى أعيشَ مُكرّما !

يا حاملى عَلَمَ الكرامة فى غـــد ... صارتْ بفضلِكمُ الكرامةُ أيِّما
ضيّعْتُمُ جهـــدَ الصبا فى غَفْلة ... وحسبْتُمُ الآمالَ لن تتجهما
أحجمتمُ عن كل ما يُعلى الفتى ... وتخذتمُ التلوينَ - جبناً - مَيْسَما
كلٌّ مشى نحو المناصب صاغراً ... ولأجلها ســـدّ المسامعَ والفما
فإذا دعا داعى الجهاد وجـــدتَه ... وجِلًا - يُحاذر أن يفوهَ - مُلَجّما
ومن العجيب إذا خطبتَ ودادَه ... ألفيتَـــه مُتغطرساً متعظِّما
ما هكذا يا قومُ نَضْمنُ مجدنا ... ومصيرُنا ما زال أمراً مُبهما!
جل الذى خلق العبادَ ليتّقـــوا ... ويُجاهدوا فى الحق ما بقىَ الدِما
سبْحانه! فغداً سيجزى عبـدَه ... لا فرق كان أخا غنًى أو مُعـدما
ما الفرقُ إلا فى النزاهـــة والتقى ... فإذا حَـوَيْتَهُما ضمِنتَ المغنما!

أسليلَ وادى النيـــل يارمز الحجى ... إنى أعيـــذُك أن تعيش محطّما
إنى أعيـــذك - والحوادثُ جمة - ... أن تستكينَ لمن بَغى وتعظّما
إنى أُريدك كالشهـــاب محلِّقاً ... فتضىء قطراً ظل دهراً مظلمـــا
إنى أُريدك كالشتيم شجاعـــة ... بطلا تُفـــدِّى بالحيـــاة وبالدما
أنا لا أُريـــدك هادئاً متلعثماً ... إنى أُريـــدك ثائراً متكلما!
قم صاحبى وانفُضْ من العين الكرى ... فالمجدُ يأبى أن يُصيب النوّما
جاهدْ ولا ترهبْ فكل مجـــاهد ... يجدُ الجزاءَ الحقَّ من ربِّ السما!!

صـــورة

صورةٌ تبعث الحيـــــاة لصب ... عاده الشوقُ والحبيب بعيـــــد
هاله السحرُ والفتونُ سباه ... فهو للسحر والفتون شهيـــد
يا جمـــال الزهور فوق الروابى ... جـدِّدِ الذكرَ فالفؤاد عميـــد ؟

..وأخـــرى

« يقظـةُ القلب » استباحتْ شغَفِي ... فانتشى قلبى وغنّى طـــربا
أذكرتْنِي سالفاً من عهـــدنا ... وزماناً — ويح قلبى — ذَهبـــا
« همسـةُ الحب » كما أنعتُهـــا ... قد أمـدَّت للتـــلاقى سببا
من رآها وهْىَ فى روعتهـــا ... قد رأى ذوقاً وفنّـــا عجبـــا !

صـــدفة

« كانت صدفة عجيبة ... صدفة حب بلا أمل »

صادَفَنى والنفسُ فى نشـــوة ... من روعة الجو وســـحر الصباحْ
ذو فتنـــة يُزْهَى بهـــا مُعجباً ... يضـــوع من برديه نَفْحُ الأقاح
حلو التقاطيع نضـــيرُ الصبا ... مهفهفُ الخصر رقيقُ الوِشـاح
فمـال بى يسأل عن موضـــع ... من بعـــد ما أوْمَأ لى فى ارتياح
فى لُثغـةٍ ساحرة عَـــذْبة ... وغُنـــةٍ ممزوجـــة بالمِـراح
وسرتُ لا أدرى أقلـبى معى ... أم أن قلبى طوّحَتْه الرياح !
حتى وصلْنا . . أنا فى حـــيرة ... من أمره . . وهْوَ حليف انشراح
ودَّعَـنى يلهو وودعتُـــه ... بالصمت . . لا بالكلمات الفِصاح
يا ليتنى خـــبّرتُه بالهـــوى ... ياليتَه أسمح قبـــل الرواح ! !

ما بالُه قـــد جاءنى تاركاً ... سوايَ من أهل القلوب الصِحاح !
هل كان يدرى أننى شاعر ... وأنّ قتلى للغـــوانى مباح ؟
وأن قلبى — ويح قلبى — شـجٍ ... جمٌّ المـــآسى مثخنٌ بالجراح
فجـــاءنى يمنحنى عطفَـــه ... هيهات ! ما فى عطفـــه مُستراح
يا منيـــةَ الروح وُقيتَ الجوى ... عوّذت بالله قـلوب المِـــلاح
إن كنتَ لم تنس جرحى وما ... خلّفتَـه لى من شـجىً والتياح
فاذكر محباً إن صَبا قلبُـــه ... فما على قلب صبا من جُناح
الحسنُ لم يُخْلق لغـــير الهوى ... والشعرُ فى غير الهـــوى لا يُتاح
كان اختتاماً يوم ودّعتـــنى ... لكنه فى الشعر كان افتتاح !

حلم الهجرة

« ألقيت فى الاحتفال بعيد الهجرة بنادى كريمة سنه ١٩٤٣ م »

حُلمُ الماضى المجيد السيَر ... زارنى فى النوم عند السحر
حلمٌ ناهيك من روعته ... هاج شجوَ الشاعر المبتكر
أيقظ المِزْهَر من غفوته ... فانبرى يشدو شجىَّ الوتر
إن للإسلام عرقاً من دمى ... وهوًى فى النفس منذ الصغر
مجدُه مجدى .. وفى تاريخه ... مجتلى قلبى وسلوى عمُرى
غايتى العظمى وأقصى وطرى ... عودة فى عهده المزدهر
بين فيض من معالى أحمد ... وصفاء من سجايا عمر !

أزمع الهجرة من معشره ... صاحبٌ قد كان زينَ المعشر
جاءهم بالحق والهدْى فلم ... يلقَ إلا ثورة المستنكر
ثم قالوا كاذب فى قوله ... ضل ظنُّ الحاقدين الغُيُر
أجمعوا الأمر على تعذيبه ... بصنوف من عذاب نُكر
وأذوْه .. وهو من إيمانه ... لم يَلِن عن عزمه أو يَخُر
سار والليلُ رهيبٌ والدجى ... يبعثُ الرعبَ بقلب الحجر
وحدَه غيرَ صديق مخلص ... يفتدى بالروح عند الخطر
أنزل الله على قلبيهما ... رحمةً من فيضه المنهمر
ومضى الكفار كلٌّ يبتغي ... أثراً للمُدْلِج المستتِر

عجبوا للورق تشدو طرباً ... فى هدوء بغناء مُسكر
وخبتْ ثورتهم لمّا رأوْا ... ما بناه العُنكبوتُ العبقرى !
قلّبوا الرأىَ معاً فاستبعدوا ... أن يكونا عند غار مقفر
ومضوْا ينعوْن جهداً ضائعاً ... بقلوب مُشعلات الشرَر !

تابعا الهجرة حتى وصلا ... « يثربا » بعد عَناء السفر
ما دعا دعوتَه إلّا أتى ... أهلُها فى فرحة المستبشر
أكرموا الداعى وقالوا مرحبًا ... برسول الله خير البشر
أيّدوا الدينَ وشدوا أزرَه ... فاستقام الدينُ بعد الخَور
وسرى الإسلام فى الأرض كما ... بدَّدَ الظلمةَ نورُ القمر !

إن فى الهجرة أسمى عبرة ... فذة تخْلُدُ بين العِبَر
ذكرُها باقٍ وفى تاريخها ... عظةٌ للمؤمن المدَّكر
آهِ من ماضٍ مجيد خالد ... كان ملءَ السمع ، ملءَ البصر
نحن آثرنا على الدين الدُّنا ... وافتتنّا بالهوى والبَطَر
لو أطَعْنا الله ما كنا لقًى ... فى الثرى يُلهى بنا كالأُكر
فانبذُوا اللهو وثُوبوا للتقى ... فالتقى بابُ العلا والظفر

ربِّ إن الكون أضحى عائماً ... فى خِضَمٍّ من دماء البشر
هى حربٌ بدّلت أحوالَنا ... ورَمَتْ بالذنب من لم يَجُر (١)

---

(١) الحرب العالمية الثانية

قد أصاب النـــاسَ من وَيْلاتها غضبٌ لم يُبقهم أو يـذر
فارْأفِ اللهمّ وارحم شرقنـــا من لهيب المحنـــة المستعر
إن فى السودان مهما أنكروا نفـــراً أكرم بهم من نفر
فارْعَهُم رباه واجمع شملَهم فى حمى الإســـلام والمؤتمر(١)
أيّدِ الإســـلام وارفعْ شأنَه وأعـــدْه فى بَهاه النضر
غايةُ المـــرمى وأقصى الوطر عـــودةٌ فى عهـــده المزدَهر
بين فيْض من معالى أحمـــد وصـــفاء من ســـجايا عمر ! !

تقديس وذكرى

من لقلب والهٍ جمّ المصابْ حنّ للماضى وأحـلام الشبابْ ؟
صبحُه كالليـــل مسدولُ النقاب من له ؟ ضاعتْ أمانيه العِـــذاب
فمضى يستلهمُ القفْرَ اليبابْ !

أين يا قلبُ ! إلى أين الرواح ؟ شقِيَتْ منك البرارى والبِطاح
والليالى آثَرَتْ عنك الصباح فاسترِحْ من طلّق الحب استراح
إنما الحب شـــقاءٌ وعذاب

أنا فى هـذا الورى جدُّ غريب كل من أدعوه - ويحى - لا يُجيب
وحبيبى . . غاب عن عينى الحبيب رحمـــةَ الله لملتاع كئيب
ومحب شاب فى شرخ الشباب !

---

(١) مؤتمر الخريجين العام معقل الحركة الوطنية .

عشتَ يا قلـــبي محبًّا لا تَريم واصطبر إن ضقتَ ذرعاً بالهموم
لا تُبالى بشـــقاء أو نعيم هذه الدنيا ـ وإن جادَتْ ـ ظَلُوم
وهناء النفس يا صاح سراب

العيونُ السودُ ما أحلى العيون والجبينُ الطلْق ما أندى الجبين
كل شيء فيك يُعرف بالفتون يا حبيبَ النفس يا سلوى الحزين
دمت وحياً لأناشيدى الطراب

كيف أنساك ! وهل أنسى الحياهْ ؟ يا جميـــلا فيه قدّست الإلهْ !
وجهُك البسَّام هل لى أن أراه فأرى إعجازَ ربى فى ســـناه !
وأناجى الله من غير حجاب !

ربِّ من أحببتَه فهو الســـعيد وأنا الراجى غداً دارَ الخـــلود
ربِّ أوزعْـــنى لأقضى ما تريد واعفُ عنى فأنا العفُّ الشهيد
وأنِلْنِي حبَّك السَّامى الجناب

إنْ أمدّ الله أسبابَ الفراق أو أراد الله لى حسنَ التـــلاق
سوف أبقى ذاكراً عهـــد الرفاق يا رفاق الحىِّ يازيْن الخـــلاق
لا تظنوا أننى أنسى الصحاب ! !

المجـــد

سألتُ ما المجدُ قيل المجدُ آمالُ ... يسعى لها العمُّ أو يأتى بها الخالُ
قيل الدراهمُ مجد .. قلتُ معذرة ... المجـد يبقى ولـكنْ يذهب المـالُ
قيل المناصب مجد .. قلت ويحكمُ ... إن المناصبَ لو تدرون أغلال
المجد أن تطلب العلياء جامحةً ... لا ضيرَ إن رُمْتَها أو عاقك الحـال
لا أعرف المجد إلّا وصـلَ غانية ... محجوبةٍ دونها والوصلَ أهـــوال
لا أعرف المجد والأوطانُ فى كبد ... والفكرُ فى عطب والجهلُ إشكال
بل أعرف المجد قلباً غيرَ مكترث ... عند المخاطر لا يثنيـــه بلبال
بل أعرف المجد فى إصـلاحه قلماً ... لا يسـتريح إذا لم ينعمِ البـال
المجد تخليـــدُ ذكرى كلُّها عبَقٌ ... إن عاش صاحبُها فالعيشُ إقبال
أو مات .. خلّف آثاراً مشرِّفَة ... ليست تموتُ .. فما للمجد آجال ! !

حرقة الفراق

(نظمها الشاعر عند ما خلّف هواه وشطت به
أيدى النوى إلى بلدة « كريمة » عام ١٩٤٣)

أبيتُ الثـواءَ الطيْبَ يا قلب ماليا ... وودّعت من أهوى وبى منه ما بيا
غداً أمتطِى ركبى فتجرى مطيّتى ... إلى بلد أودعتُ فيـــه حياتيا
أعينىَّ إن الدمع ليس بنافع ... فكُفَّا قليـــلا أو فجُودا تواليا
« كريمةُ » هذا الجسم نحوك قادم ... ضعيفَ القوى جمَّ التباريح ذاويا
أتيتُك ولهـانا يُفتِّتُ مهجـــتى ... فراقُ حبيب ظل للقلب وافيـا
تركت ديارا كنتُ فيها معزّزا ... أُضاحكُ خـــلانى وأمرح لاهيا
تركت عزيزاً لست أرضى وداعَه ... وخلّفت حِبًّا ليس يرضى وداعيا
وجئتك والذكرى تؤرق مضجعى ... وتُلْهبُ أشـجانى وتوقد ناريا
فَرِقِّى لحالى « يا كريمة » وامسحى ... دموع فتًى أمسى من الحىِّ نائيا !

وإن أنس م الأشياء لا أنس ساعة ... فقدت صوابى عنـــدها ورشاديا
غداةَ تلاقيْنا على غير موعـــد ... وقد كان همُّ النفس ذاك التلاقيا
وقالتْ: حبيب النفس، هل أنتَ راحلٌ ... فقلت بلى . . قالت سلبتَ فؤاديا !
بكت بغزير من دموع زكية ... فأبكت حسانَ الحى ـ عطْفاً حِياليا
وصاحتْ أيبقى إن ذهبتَ غرامُنا ... أم أنت الذى إن بان أصبح ساليا ؟
فقلتُ لهـا يا منيةَ النفس أقْصِرِى ... عدمتُ هناءَ العمر لو بتُّ ناسـيا
أأنسى ؟ وقد أصبحتِ كلَّ مآربى ... أم أسـلو ؟ ولن اسطيع إلا تماديا !

فقالت وقد راحت تُكَفْكِفُ دمعها ... وتمسح خـــداً كالأزاهر ناديا
أخاف عيوناً من عذارى « كريمة » ... وأخشاكَ أن تهوى الظباءَ الجوازيا
فقد خبّرونى أنّ فيهـا مَفاتنا ... تعرِّض للأهواء من راح ساعيا
فأقسمتُ ألّا يطّبى القلبَ غـيرُها ... وإن كان كالشمس المضيئـة زاهيا
وأبديتُ ما أُخفى من الهم والجوى ... وحرَّضنى شَجْوِى فأجْهَشتُ باكيا
فراحتْ تُواسينى بكف رقيقـــة ... وتُبدى من الأشواق ما كان خافيا !

وقال خليـلى إذْ رأى سُوء حالتى ... إلامَ تمنِّى النفس تلك الأمانيا
تعال وغرِّد فى جمال « كريمة » ... ومن حسنها الخلّاب هاتِ القوافيا
ففى النيل إسعادٌ وفى « العُقْدة » الهوى ... وفى «البركل» الترويحُ إن كنتَ واعيا[1]
فقلتُ خليـــلى لا تَلُمْنى فإننى ... تركتُ بتلك الدار أدعَجَ غاليا
أبى طيفُه حتى الزيارةَ فى الكرى ... فلم أُلفِ بعد البين طيفاً مُواسيا
هنالك قد ودّعت فى « مورد » الهوى ... أزاهيرَ روض كالنُّضَار غواليا[2]
متى الدهرُ يُدنينى وهنّ بجانبى ... فكم بدّل البعـــدُ المحيِّرُ حاليا
إذا كان فى قربى عـــذابى فإننى ... لدى قربِ من أهوى أُحبُّ عذابيا !

سـقى القطرُ هتّانا ربوعَ أحبـة ... عقـدتُ عليهم خِنصَرى ورجائيا
همُ أودعونى لليالى وأســـلموا ... فؤادى إلى حُزْن يقض مناميا
ألا يا نسيمَ الصُبْح إن كنتَ ذاهباً ... إلى دار أحبابى فبلِّغْ ســـلاميا
سلام فتًى قد شـفّه الوجدُ والهوى ... فآض من التبريح والسهد فانيا
خذونى إلى حيثُ الهوى ونعيمُه ... ورُدُّوا لعيـنى ذلك الظبيَ ثانيا

---

(١) العقدة قرية من قرى كريمة والبركل جبل تاريخى مشهور (٢) الموردة حى الشاعر .

أعيدوا لقلبي لحظةً من غرامه بشطِّ الأمانى إن أردْتُمْ شفائيا
أريد ثوائى بين صحب أُعزُّهمُ وإنْ قدّر الواشون فيه شقائيا
سأجْرَعُ كأسَ البيْن ما دمتُ ها هنا وإن كان كأسُ البين كالسُّم قاضيا
وأصبرُ محزوناً أُغالب لوعتى فياربِّ صبِّرْنى وأحْسنِ عزائيا ! !

مشاعر

أيها القلبُ يا حليفَ العذاب كيف أخلصتَ بعد كيد الصحاب ؟
كيف أصبحتَ بعد طول التجنى ممعناً فى هواك جمَّ التصابى ؟
قد تفردتَ بالشقاء وأصبحت وحيداً ذا وَحشة واكتئاب
ما الذى كان يا فؤادىَ حتى صرت بين القلوب رهنَ اضطراب ؟
أبداً تقطعُ الليالى حزيناً مُثْقلًا بالهموم والأوصاب
كنت أحرى بالعطف بعد التجافى أيها القلبُ لاحتمال الغياب !

أنا ضيّعتُ فى الغرام شبابى علّ قلبَ الحبيب يَرثى لمابى
إن قلبَ الحبيب إن رق حيناً كان أقسى من الصخور الصلاب
قرّح الجفنَ ما سكبتُ من الدمع . فما حنّ لحظةً لانتحابى
آفةُ الحب أن تحبَّ جُزافاً والحبيبُ الملولُ رهنُ احتجاب
أنا أسرفتُ فى هواه وعذرى أنّ قلبى يَفيض بالإعجاب !
يا جميلاً برى الفؤادَ هُياما ما الذى ضر لو رحمتَ شبابى ؟

بعدكَ الناسُ كالزعانف عنـــدى أنا منهم محزونُ ملءَ إهابى
أنكروا الحبَّ ثم قالوا ضـــلالاً ما له حاد عن طريق الصـواب ؟
جهـلوا أننى أحبُّ لمحض الطهـــر والنبل فى نقىِّ الثيـــاب
أنا أشقى لكى أُخـــلدَ حبى فى سطور من وحيـه المنساب
أنا أشـــقى لكى أنزهَ نفسى عن دنىء الطِلاب والآراب ؟

هاتِ قيثـارتى ودعنى أغـنى قد مللْتُ السكوتَ بعد العـــذاب
أبعث الصوتَ ناغماً من فؤادى بالأناشـــيد والأغانى الطِراب
إنَّ شعرى مرآة قلبى ولبى وملاذى فى محنتى واغـــترابى
فيـــه ترنيمةُ العـــزاء لأحزانى وفيه المنى وصـــفْو الشراب ! !

فتاة الشعر

لكِ لحنى يا فتاتى من محاريبِ صلاتى
لك يا بهجةَ أيّا مى و يانورَ حياتى

يا فتاةَ الشعر هاتى الشعرَ فالشعرُ غذائى
من تُرى يدرك فيكِ السحرَ غيرُ الشعراء ؟

سَلْسِلى الأنغام للظمآن من فرط الصدود
واسمعينى يا إبنةَ الأنغام ألحانَ الخلود

يا فتاة الشعر ما أبهاكِ فى الثوب الرقيق
أنت كالشمس ومن كالشمس فى وقت الشروق ؟

هل عرفتِ الحبّ أم ما زلتِ حيرى فى ودادى ؟
ما هى الدنيا ـ سوى الحبِّ ـ لمسلوبِ الفؤاد !

يقظـــة

يا شبابْ يا شبابْ راح عهدُ الهجود
فاستحثُّوا الرِّكاب بين قصف الرعود !

حب هذا الأديم فى الحنايا مصانْ
خالدٌ مستديم كخلود الزمان
إن نفس الكريم ليس ترضى الهوان
فاستحثوا الركاب فوق حدِّ السنان !

إسقنى يا خليلْ من رحيق الكفاحْ
خلِّ كأسَ الشَّمول لِدُعاة المزاح
إن تلك السبيل بالمنى لا تُتاح
فاستحثوا الركاب بين عصْف الرياح !

إسمعى يا جبالْ واشهدى يا صخورْ
لن يرونا بحال غيرَ شعب فخور
باحتمال الرجال بالشباب الغيور
فاستحثوا الركاب رغم أنف المُغِير !!

تغريدة المولد

« ألقيت فى ليلة الاحتفال بالمولد النبوى بكريمة عام ١٩٤٤ »

خيرَ البرية قد مَلَكْتَ زمامى ... وهتكتَ سترَ محبتى وهيامى
الوجد شرّدَنى وأسهدنى الهوى ... وسلَبْتَنى قلبى فعزّ منامى
فنظمتُها — وحىَ الفؤاد — خريدةً ... تبقى بقاءَ خوالد الأيام
وأتيتُ أشدو كالهزار مغرداً ... بين الأنام مجاهراً بغرامى
شتان بين هوى الحسان وكيده ... وهوى أعزِّ العرب والأعجام !

يا خيرَ من وَطِىءَ التراب طهارةً ... وقداسةً تخلو من الآثام
الله يعلم أننى بك مغرم ... جمُّ الصبابة مفرَطُ التهيام
ذكراك تُنعشنى وتُذهب حسرتى ... وحديثك الميمون كلُّ مرامى
وهوى الحنيفِ أباح لوعة خافق ... إن ذاب وجداً فهو غيرُ ملام !
فى يوم مولدك السنىِّ تقشعت ... سحُبُ الجهالة بعد فرط ظلام
ما فرحةُ الأم التقت بوحيدها ... بعد الغياب وكثْرة الأسقام
بألذَّ من فرحى بمولدك الذى ... هو للفؤاد مخففُ الآلام
وبليلةٍ يُعشى الليالى نُورها ... مزدانةٍ بجمالك البسّام
من رام وصف محمد فمحمد ... يعلو عن الأوصاف والأفهام
إن كانتِ الرسْل الكرام كواكباً ... فمحمد كالبدر ليلَ تمام !

يا مولدَ المختـــار أفرحتَ الورى ... وأثرْتَ لوعـــةَ كل قلب ظامِ
يا مولد المختـــار هل من عودة ... لعـــدالة الخلفـــاء والأعلام ؟
الدين مات ! وليس فينـــا قائم ... يَحميـــه عنـــد البأس بالصمصام
ويحَ الشريعـــة ! نام خيرُ حماتها ... فتعـــثّرتْ فى السير دون إمام
أخلاقُنا شاهت وضاع حيـــاؤنا ... فالويل للواعى وللمتعـــامى
تخـــذوا التمدُّنَ للدمار وسـيلة ... وتسـابقوا للإثم كالأنعـــام
ويحي على الإســلام ! أين بهـاؤه ... والدينُ ! أين الدين ؟ أين الحامى ؟
يا أمـــةً باتت بأســـوأ حالة ... أكذا تكون نهاية الإســلام ؟

أشفيعَنا يوم القيـــامة حالُنـــا ... بادى المســـاءة ظاهرُ الآثام
إن الذنوب كثيرة وعظيمـة ... لـكننا للعفو جـــدُّ ظـــوامى
جئنـــاك فى يوم أغرَّ محجـــل ... نبغى الهـــداية فالقـلوب دوامى
نرجو من البارى بِحَقِّك عنـده ... عزاً لأمتنـــا مـدى الأعوام
الله أكبر ! إن دين محمـــد ... دينُ التقى والعـــدل والإقدام !

يا خاتم الرسْل الكرام تحيـــة ... كالروض باكرَه الربيع الهامى [1]
من شاعر ذكراك تُفعم قلبـــه ... بالحب والإجـــلال والإعظام
يرجو لأمتـــه بقاء صـــالحاً ... ولدينـــه الميمون خيرَ مقـــام
بك نستجير من العـذاب وناره ... يوم الزحام وهوله الهـــدَّام
صلى عليـك الله ما هبَّتْ صَـــبا ... يا صاحبَ القـدر الجليـل السامى !

---

(١) الربيع من معانى الغمام .

الظبي الغرير

يا غريراً أشعل القلب وولّى ... لا يُبالى من بنار الحب يصلى
وحبيباً مُفْرِطاً فى دله ... وملاكاً من جنان الخلد أصْلا
عقْنى سَيْرِى . . ومُذ خَلّيْتَنى ... صرتُ كالمشدوه لا أفقه قولا
قسماً بالله . . ما أبقيتَ لى ... غير تعذيبى ، وما خلّفْتَ عقلا !

ذاتَ يوم فى صباح باكر ... كنتُ فى صحبة خل سامر
كان يحكى قصةً معسولةً ... جمعت كل طريف نادر
غير أنى كنت فى معترك ... من شجونى نحو ظبى نافر
خاننى قلبى وقلبى إن رأى ... مُغرَياتِ الحسن ألهى خاطرى !

عجب الصاحبُ منى ووقفْ ... إذْ رآنى فى شحوب ارتجفْ
ثم ألقى نظرةً فاحصة ... حيثما وجّهْتُ طرفى . . فعرف
قال لى: هذا الذى قد خفتُه ... ليتنا — لوليت تجدى — لم نقف
وإذا فى الحال قد غاب الذى ... أشعل النار بقلبى وانصرف !

أيها الظبى دلالاً ونفورا ... طُفْ بقلب طاف بالهم كثيرا
ربما طيفك يسرى فى الكرى ... لمحب كان بالعطف جديرا
لفتةُ الجيد وما فى فعلها ... من صنوف الدل صادتني أخيرا
يا صديقى كيف لا أهفو له ... وهو ملء القلب همّاً وسرورا ؟ !

وعجيب منه أن يبتسما ... بعد أن أصبى الفؤادَ النَهِما
بسمةً كانت لقلبي بلسماَ ... وعذاباً . . ليته ما بسما
أبصرت عيناى فيها حُلُماً ... طالما أغرى فؤادى . . طالما
لا تَلُمْنى يا خليلى إننى ... صرتُ منذُ اليوم صبّاً مغرما !

يا فريدَ الحسن ألهبتَ الشعورا ... وغمرتَ القلب والمهجةَ نورا
وبذاك الورد ما أبدعَه ... برقعاً للخدِّ . . أخجلتَ الزهورا
وبذاك الجيد ما أفتنَه ... كنت للمفتون برداً وسعيرا
لفتة الجيد وما فى فعلها ... من صنوف الدل صادتنى أخيرا !

أنشودة

كيف بالله عليهِ ... يشتكى الشاكى إليه !
يشتكيه للهوى ... والهوى طوعُ يديه
إن يشأ أسعدنى ... أو يشأ هُنتُ لديه
آه من فتنته الكبرى ومن وجدى عليه
إن سرَّ الحسن — لو أدركتَه — فى نونتيه
يخجل الزهرَ . . وهل فى الزهر ما فى وجنتيه ؟
ويُشيع السحر إن غنّى وأرْخَى مُقلتيه
راحتى يا صاح — لو تعلمُها — فى راحتيه
حسبُ قلبى نظرةٌ ... برّةٌ من ناظريه
وابتسامٌ يحمل الفرحةَ لى من شفتيه ! !

جمال معبر

يا نضيرَ القـــوام كيف تُرانى واصفاً حسنَك الفريد المعـانى ؟
أنت تغرى الخلىّ من كل وجد بالغرام العصـــوف والتَحْنَان
أىُّ ســحر يَشعُّ من نور عينيْك قوياً كالسيف عنـــد الطعان
وخـــدودٍ كأنّ فى وجنتيهـا أودع الله فتنـــةَ الأزمان
وابتسامٍ كفرحة الطفل فى المهـــد تجـلّى فى وجهك الفتـان
يانبيل الخِـــلال ألهمتَ شعرى وبعثتَ الرقيق من ألحانى
أنت كنزٌ من النُّضار ثمينٌ بل ملاك فى صـــورة الإنسان
فيك من فتنة الشباب صـنوف فيك من روعـــة الجمال معانِ
السعيد السعيد من نال حظًّا من وصال ، ونعْمـــة من تدان
وتمـلّى فى فتنـــة تخلُبُ اللبّ وتيـهٍ من مُغرَيات الجنان
إنّ من زِنْتَه بعطفك يوماً عاش طول المدى رضىَّ الأمانى !

فتنة الهوى

فتن القلبَ وارتحلْ ... وتوارى على عجلْ
ومضى فى طريقه ... لا يبالى بما فعل
ظالمٌ لا يَضيرُه ... سَحرَ الصب أم قتل
يتهادى إذا مشى ... يتمادى إذا مطل !
صاغه الله فتنةً ... من شباب ومن جَذَل
آهِ من خده النضير ومن ... طرفه الخَجِل
وهواه الذى أقا ... م معى بعد ما رحل
كيف أنجو من الهوى ... وهو فى القلب مشتعِل ؟
إنه فوق ما يطيق فؤادى ويحتمل !

أنت يا منية الفؤا ... د ويا غاية الأمل
أترى قد رأيتنى ... أمزُجُ العُذرَ بالحيل ؟
لأرى حسنك الفريد وتكوينَك الغزِل ؟
أم تجاهلتَ ما بدا ... وتناسيت ما حصل
أنت من يملك الجوا ... ب فلا تلْحَ من سأل
وأنا الشاعر الذى ... قد دعاه الصبا المُدِل
بين جنبىّ خافق ... إن رأى الفتنة اشتعل
فى يدى المزهر المرِنّ وفى خاطرى أمل

أنشد الشعر للخدو د وأستلهم المُقَل
إيه يا من غرامُه ملك القلب فامتثل
إن تماديتَ فى نوا ك فلا تنس من حمل
حملَ الوجد وحده والصبابات والعِلَل
لم يزل عند عهده لم يَحُدْ عنه أو يَحُل !

بدمى ذلك الحبيب إذا جار أو عدل
بدمى من خياله ملّنى وهو لم يُمَل !
قل لمن لام فى هوا ه فؤادى ومن عذل
قد سمونا بحبنا عن ملام وعن جدل
حبُّنا لن يقِرّه عالمٌ صاخبٌ أشَل
حبنا فى سمائه لا تسلْ عنه لا تسل
فهو زاكٍ على الدوا م مقيمٌ مدى الأجل !!

وطنى

وطنى الغالى فداكَ دمى ... ساعة البأساء والضرر
هذه كفى وذا قلمى ... يدفعان الشر بالشرر
فيهما من رهبة الحُمَمِ ... خطر ناهيك من خطر
فى زمان لم يدع لفمى ... غيرَ همس الخائف الحذر !

يابنى السودان إن لنا ... وطناً نفديه بالمهج
وطنًا ما زال مُرْتَهَنا ... يتمنى ساعةَ الفرج
لا تخالوا النوْح ينفعنا ... فهو عندى أضعفُ الحجج
انبذوا الأحقادَ والفِتَنا ... يستقمْ ما فيه من عِوَج

ما الذى أعددتموه غدا ... لبُناة الجيل من عُدد ؟
ضاع ما مُنِّيتُموه سدى ... بين حب النفس والحسد
كلُّكم جارٍ يمُد يدا ... لحياة الذل والنكد
لن تنالوا مجدَكم أبدا ... بشعار غيرِ متَّحِد !

هذه الدنيا عجبت لها ... كم سقَتْنا الصابَ والألما
حبّبت ـ كُرْهاً ـ مواردَها ... فشربنا وردَها ندما
واندفعنا نحوها شرها ... نبتغى اللذاتِ والنِّعَما
فمتى ياقوم نبعثُها ... صرخةً نُحيى بها الهمما ؟!

السودانى فى القتال

« مهداة إلى الجندى السودانى الباسل
إشادة بدوره الخطير فى الحرب الأخيرة »

راح يُزْهى كالشتيم[1] الأروع ... بين نيران العِدا والمدفع
فارس يكفيك من طلعته ... أنه شهم كريمُ المطلع
عشق المجد فتياً يافعاً ... فهو صبٌّ بالعلا ذو ولع
هجر الأصحاب - من غير قلىً - ... فى سبيل الواجب المستودَع
وسلا الأحبابَ سُلوان فتًى ... همُّه العودةُ ملءَ المسمع !

كم ليالٍ ظل يرعى نجمَها ... ساهراً ما ذاق طعمَ المضْجع
فهو آناً جاثمٌ فى موضع ... يرقُبُ الخصم كليث أشجع
وهو طوراً فى لقاء فاجىء ... أو هجوم كالمنايا مُسرع
كلما لاحت على الأُفْق ذُكا ... ألهبتْ من عزمه المجتمع
لا الشتاء القرُّ يَثنيه ولا ... هاطلاتُ الوابل المنهَمِع
وهجيرُ القَيْظ لا يقهرُه ... لا ولا عصفُ الهَبوب الزَعْزَع
لم يفتَّ العزمَ ما يلقاه من ... يائس من نصره منخَدع
بطل يسعى لإسعاد الألى ... أصبحوا - ظلماً - ضحايا الطمع !

قال لما صدر الأمرُ له ... فى دجى ليلٍ رهيبٍ مُفْزع
أنا إن لم أبذلِ النفسَ فدىً ... لهناء الأسرة المنصدع

---

(١) الأسد

وأعانى ما أُعانى باسمـــاً ... فى ثبات كالأشَمِّ الأرْفَع
وأَرد الضيم عن قـومى بمـا ... يحفظ الحقّ لشعب موجَع ..
كنت أحرى من عدُوِّى بالردى ... فهو خيرٌ للجبان الجزِع
بعتُ للسودان والنيل دمى ... وذليلُ القـوم من لم يبِع
أنا إن مِتُّ فأهلاً بالردى ... فى سبيل المجد .. أقصى مطمعى
وإذا عشت سأحيا هانئاً ... فى روابى النيل والفخرُ معى !!

صدى الذكرى

يا مالكاً مُهجتِى ظلماً وإحساسى
إنْ تَنْسَ عهدى فإنى لستُ بالناسى
وكيف أنسلكَ يا من بات يَشغلنى
رغماً من النفس عن صحبى وجُلّاسى ؟
بدّدتَ صبرىَ حتى ضاق ذو ثقتى
من الصحاب .. وحتى ضقتُ بالناس
إن كنتَ تذكر ما ولّى وتحفظُه
ما فى صـدودك يا دنياىَ من باس
أيام أدعـوك مفتوناً فتصحبُنِى
جذلانَ تمـرَحُ فى ود وإيناس

أيام لا نشتكى همّـا ولا ترحا
ونلتقى فى حمانا دون حُـرّاس
يا ساكن القلب هل تحنو فتُخْبرُنى
كيف الخلاصُ وأنت الجارحُ الآسى ؟
بغّضْتَ لى الحسنَ حتى ليس يُعجبنى
من المفاتن إلّا شخصُك القاسى
لا غرْوَ أنك إن أســعدتنى زمناً
أسلمتَنِي بعد إسعادى لوسواسى
ألهمتَنِي الشعر فاستوحَيْتُ أروعَــه
وصغتُه من دمى . . من حرِّ أنفاسى
ولم أزل أذكر الماضى فإن له
بين الجوانح فعلَ العود والكاس
ذكرى أعيش عليها ما حَييتُ وإنْ
كان احتفاظى بها ضرباً من الياس !

أين قلبي ؟!

ليس يدرى ما بقلبى من تباريح وحب
نافر ألهبَ وُجدانى ولم يسمح بِقُرْب
يملك الوِرْدَ ولا أملك إلّا حرّ قلبى
إن تحدثتُ إليه بحديث لا يُلبِّى
أو طلبتُ الودَّ منه راح فى دَل وعُجْب
ذنبُه عندىَ مغفو رٌ ولا يَغفر ذنبى
حار لبى فى غرام حفّ بى من كل صوب !

يا حبيباً دأبُه الصـــدُّ وتعذيب المحب
لا تُطِلْ هجرى فحبى صادقٌ من غير ريب
إننى أخلصُ أهل الـــود فى وجدى وحبى
ضاع قلبى ياصحابى فانشدوه بين سِرْب
من ظباء فاتنات كلُّ ما فيهن يُصبى
ذلك السرب — رعاه الله — قد يعرف طبى
فيه من يُذهب أحزانى — إذا شاء — وكربى
أين قلبى يا رفاقى خبرونى أين قلبى ؟
إن يكنْ ضاع فياويْلاه من تشتيت حبى ! !

العـــامل

« مهداة إلى ذلك العملاق المحروم الذى لم نعرف حقوقه علينا بعد »

مَن ذلك الساعى ؟ هـداه اللهُ ... وأمدَّه بالعوْن فى مسعاهُ
من ذلك البطلُ المَهيضُ جناحُه ... والباطشُ المحرومُ من دنيـاه ؟
من ذلك الفادى لنا بحيـاته ... مِن دهرنا العـاتى ومن عَدْواه ؟
يُزجى لنـا الخيرات دون تذمُّر ... وتفيض بالمِنَن الجسـام يداه
لا يشتكى غيرَ اهتضـام حقوقِه ... وشعورَه بضـياع ما أسـداه !
فلعلنـا يوماً نرد جمـيلَه ... وعساه يَظفَر بالجزاء عساه !

يا من رأى هـذا الأبىّ يُظـلُّه ... وَهَجُ الحـديد بحرِّه ولَظاه
يا من رآه وفى يده معـاولٌ ... صمـاءُ تصْهَرُ جسمه وقواه
أبداً تئن ضـلوعُه وجُنوبُه ... ويغط فى النوم الهنىء سواه
صادفتُـه يوماً وفى نفسى هوًى ... للقائه .. فسمعتُ رجعَ صداه
ما ساءنى إلا ضـياعُ جهودِه ... وهو الذى يسعى لنيْـل منـاه
وهو الذى يرجو عـدالةَ قومه ... فشـعوره بالغَبْن طال مـداه
يَكفيه أن ضميـرَه مُتيقِّظٌ ... يُملى عليـه كفاحَه .. ويَراه
عُمَّالُنا ذخرُ البلاد وكنزُها الغـا ... لى ولُحْمةُ مجـدنا وسُـداه
هم عُدَّةُ الوطن العزيز إذا بغى ... باغٍ عليـه ينـال من مَرْقاه
ولَعامِلٌ يسعى لرفعـة قومه ... يبـدو الكفاح الحرُّ فى سيماه
خيرٌ لنـا من عالِمٍ مُتواكل ... يُخفى ضـياءَ العـلم طَىَّ رداه !

يا قومُ والأحداثُ تَمْتَحِنُ الورى ... ما بالُ عاملِنا يطول سُراه ؟

ما بالهُ يشكو ولا نُصْغِي له ... والحقُّ - كلُّ الحق - فى شكواه

فالجهلُ أفسدُ ما يكون لأُمة ... إن جلَّل الصناعَ ليلُ دجاه

والفقرُ داء طِبُّه مُتَيَسِّرٌ ... للموسرين . . ولن يدوم الجاه !

إن الغنى أن نَستفيدَ بمالنا ... ليس الغنى تَكْدِيسُ ما نُعطاه

والشعبُ لا يرقى بغير صناعة ... تَحمِى سماه وتَسْتَغِلُّ ثَراه

إن تُنقِذُوا العمال من آلامهم ... أنقذتمُ السودان من بَلْواه ! !

لحن الفراق

ما لعهدٍ مضى سعيداً مرَدُّ ... فاسترِحْ يا فؤادُ ممن تَوَدُّ
ودعِ الوجد جانباً والأمانى ... لا يَرُدُّ الحسانَ يا صاح وجد

لهف نفسى على ضياع الشباب ... فى سعيرٍ من الجوى والتصابى
لستُ أخشى النوى فقد صار قلبى ... لا يبالى بسحر ذات الخِضاب !

النجاةَ النجاةَ من كل حسن ... يا فؤاداً أعياه فرطُ التمنى
ليت شعرى علام تهوى الغوانى ... أحسبت الغرام جنةَ عدن ؟

يا عذارى الهوى وداعاً وداعا ... إن فى البعد والسلوِّ انْتِجَاعا
لم يَطِبْ فى الهوى مُقامى فبعداً ... لغرام ما كان إلا خِدَاعا !

يا خليلىَّ قد رجعتُ لقلبى ... وتناسيتُ راضياً كلَّ حب
فمن الغَبْن أن أظلَّ مُحبا ... لمطولٍ قد جار من غير ذنب !

غَنِّيانى لحنَ القلى والصدود ... كان مُرًّا أو كان عذبَ الورود
ودعانى إن كنتما ترثيا لى ... فى عذابى . . ففى العذاب خلودى !!

دنيـــا

« مهداة إلى الصديق الأستاذ أحمد المبارك عيسى »

أجلْ ! هِيَ دنيا الشك دنيا العجائب
فلا تبغ ما فيها ، وعِشْ عيْشَ راهبِ
وإن كنتَ من عشّاقها لا تثِقْ بها
وإن كنتَ من أهل الحجى لاتُصاحب
وإن رمتَ إدراكَ الأمانى فلا تَبُحْ
بسرك ، تأمن عاديات الأقارب
فأكبرهَمٍّ فى الهـــوى كيْدُ راغب
وأصعب شىء فى الدنا ختـل صاحب
يقولون لا تيأسْ وأعـــلمُ أننى
مقيمٌ على حال من اليأس غالب
عجبت لقلب كلما فاض حبُّـه
أحاطتْ به الأشـجان من كل جانب !

أعيذُكَ من ماضٍ مثـــيرِ العواقب
وحلْم جميـــل قد مضى غيرَ آيب
وحُبٍّ شـقىٍّ زارنى ذاتَ ليـــلة
فأودعتُـــه فى القلب أسمى المراتب

وما زلتُ فى بيـــدائه متنقِّـــلاَ
أُسائلُ نفسى .. أين ضاعت مذاهبى !

وليس جـــزائى أن أعيش منعّما
نضـــيرَ الأمانى مستجابَ الرغائب

ولـكن جزائى ذلك الصـدُّ والقِلى
وتبـــديدُ أحلامى وبعدُ المطالب

ولـكن جزائى أن أروحَ وأَغتـــدى
حليفَ المآسى مكفهِرَّ السحائب

حرامٌ على قلبى — وقد غاله الأسى —
رجاءُ الغـــوانى واجتداءُ الـكواعب

عشِقنا وأخلصْـــنا فـكان نصيبُنا
ضـــياعَ أمانينا وظلمَ الحبـائب

وتلك أغانينا الطرابُ .. فمـا الذى
جنيْنا ســـوى آلامِنـا والمتاعب ؟

وما قيمةُ العمر الذى ضـاع فى الهوى
ولم يقضِ من دنيا الهوى أىَّ واجب ؟

وما الشعرُ ؟ إن الشعرَ لم يَشْفِ مدنفاً
عليلاً — ولـكن زاده فى المصائب

وما الحب ؟ إن الحبَّ يا صاح عندنا
خيالٌ محيطٌ بالأمانى الكواذب
وما المجد ؟ إن المجد صار اكتسابُه
بوأْدِ المعالى واقتراف المعائب
أنا الشاعرُ المحروم ، حطّمتُ مِزْهَرى
وقد كان عوْنى فى الأسى والنوائب
ولستُ على الماضى — وإنْ عزّ فقدُه —
أسيفاً فقد أوحى بخير التجارب
إذا نلتُ ما أبْغِى فانيَ مؤمنٌ
وإلّا .. فإنى جاحد بالمواهب ! !

صديق اليوم

يُعادينى ويسرفُ فى عدائى ... ويحسَبُ نفسَه من أصدقائى
ويُعلنُ ودَّه الصافى أمامى ... ويقذفُنى ويهزأُ بى ورائى
وفيتُ له فكان على نقيضٍ ... يبادِلُنى الخيانةَ بالوفاء
ويحسدُنى وليس لدىّ مالٌ ... أضِنُّ به إذا رام اجتدائى
عجبتُ لحاسد ما عاش إلّا ... ليقدحَ فى سجايا الأبرياء !

صديقُ اليوم ـ لو فكّرتَ فيه ... وأدركتَ الذى يخفى ـ مُرائى
هو الغِرُّ الذى يُعييكَ خُبثاً ... ويخدعُ بالمودة والصفاء
فما معنى الصديق إذا تعدّى ... وأهمل فى حقوق الأصدقاء ؟
وما معنى الصديق إذا تولّى ... وأعرضَ عنك ساعاتِ البلاء ؟
وما معنى الصديق إذا تمادى ... مع الأعداء فى بذل العداء ؟
رأيتُ الجهر بالعدوان خيراً ... من العدوان فى ثوب الإخاء
فلا تأمنْ على سر جليساً ... فقد ولى زمانُ الأصفياء
ولا تعجبْ إذا عاداك خلٌ ... أتاك .. فلم تُبادر بالعطاء
فإن تكاثرَ الأخوانُ وقفٌ ... على الجاه العظيم أو الثراء
ألا بئسَ الصداقةُ فهى ودٌّ ... تمخّضَ عن كِذاب وافتراء
وبئس مودةُ الإنسان مهما ... تظاهر بالبراءة والوَلاء !

سأبقى مُخلصاً ما دمتُ حيًّا ... وإن كان القلى بعضَ الجزاء
وأُقسمُ لا أكيد ولا أُداجى ... فهذا لا يليق بكبريائى
وما أنا ذاكرٌ بالسوء غيرى ... مخافةَ أن أسىءَ إلى إبائى
أنا الذهبُ النُّضَار بلا ازدهاء ... إذا بقىَ الصديقُ على وفائى
وإن غَدر الصديق فلستُ أنسى ... لنا عهداً تقضّى فى صفاء
سأبقى طاهر الأذيال مهما ... لقيت من المكايد والعناء
وأودِعُ عند ربى نفسَ حر ... تعيش على النزاهة والنّقاء !

الحسد

سألت نفسى عمّا أفادت ... من نَقْمة الحاسد الصفيق
فحدّثتنى حديثَ عقل ... أملْته فى منطق طليق
قالت : عيونُ الحسود نورٌ ... يُضىء لى ظلمةَ الطريق
فأُبصرُ القبح من بعيد ... بنظرة الفاحص الدقيق
وقولُه إن أساءَ يوماً ... إلىّ ما نال من حقوقى
إساءةُ الحاسد اشتمالٌ ... على مدى غَبْنِه العميق
تَدْفَعُنى للطماح دفْعاً ... وتسكُب الجِدّ فى عُروقى
ولن ينالَ الحسود شيئاً ... من كثْرة القدْح و «النهيق»
غيرَ التأسّى ، وما التأسى ... سوى حياة على حريق
إن لم أكن للفخار أهلاً ... ما كنت للحقد بالخليق !

رجعة الهوى

« كان يظن أن فى الابتعاد سلواناً
فنزح ، ولكن عاوده الحنين »

نأيت فعادنى الوجد وقرّح جفنىَ السهدُ
وصرتُ مشتتَ الأفكا ر . . لا حصرٌ ولا عدد
نأيتُ وقلت فى نفسى أما لصبابتى حد ؟
ولكن خاننى قلبى فعاد الحب يشتد !
وعدتُ إليه ظمآناً أضرّ بمُهجتى البُعد
أقول أما لمعترف بذنب غيابه رد ؟
أما لمعذّب يرجو إغاثةَ حاله وِرْد ؟
فيمضى غيرَ مكترث حبيبٌ شأنُه الصد
فأين صيانةُ الماضى وأين الحبُّ والعهد ؟
وكيف نهايةُ المسعى وقلبى لم يُفِقْ بَعْدُ ؟

غُلبتُ به على أمرى غرامٌ عارم صلْد
عنيف كاندفاع السيل مشتدٌّ ومُحْتدُّ
وعَفٌّ كابتسام الطفل أغرى جنبَه المهد !
غرامٌ مالك قلبى فكيف أروح أو أغدو ؟

بذلت لدَفْعِهِ جُهـــدى فأثقل كاهـلى الجَهْد
كأنى أحمـــل الدنيا أوأنى العـــاشقُ الفرد !

تُرى هل تذكر الماضى وعهـــداً حفه السعد ؟
وأياماً — رعاهـا اللـــه — لا همٌّ ولا كيد ؟
وهـــل لقديمنـا بعثٌ وهل لغرامنـا عوْد ؟
دَلال ذاك أم عمْـــدُ وهزل منك أم جـدٌّ
أجبْنى فالهـوى نـارٌ وأنت الراحُ والخُـــلد ! !

ملـكال (١)

« فاتحة ألحان الجنوب الحبيب وقد نظمها الشاعر وهو فى طريقه إلى ملـكال »

« ملـكالُ » جئت لا يَصْحَبُني ... لثراكِ النضْر إلاّ جسـدى
كان لى قلبٌ .. وقد أودعته ... باضطراى عند أهل « المورْد »(٢)
فامنحى العطف فـتًى مكتئباً ... باكىَ الطرف قليـلَ الجلَد
وعزائى أن لى فيك منًى ... كم أقضّتْ من قديم مَرْقَـدى
سوف أشـدو ثم أشدو طالمـا ... عشت فى مغناك ذى الكفِّ الندى
لاصنوفُ الـكَبْتِ تُوهى عَزْمتى ... لا ولا تَثْنِي الليـالى مَقصدى
لن تُرانى ها هنـا مغترباً ... فهنـا قومى . . . وهذا بلدى ! !

---

(١) عاصمة أعالى النيل بالجنوب (٢) المورده .. حى الشاعر

ابنة الفجر

« إلى تلك الطفلة السمراء الوادعة أهدى هذا اللحن البريء »

ألا يا سلوةَ الباكى أعينى المدنفَ الشاكى
لقد أحياه مرآكِ
وناداه مُحيّاك
وشاقتْه ثَناياك
وراقتْه سجاياك
سقاه السحرَ جفْناك وجارَ عليه خدّاك
وأغرى قلبَه الحنّانَ مسراك ومغداك

ألا يا طفلتى إنى حزينٌ ضاحكُ السنِّ
لقد نال الهوى منى
وغاب أحبّتى عنى
وضاق — برحبهِ — كونى
وأصبح خافتا لحنى
فمنّينى بلقياك وعزّينى بنجواك
وراعينى — رعاك الله — أُنْسِى طوعُ يمناك

تعالىْ بهجةَ العمرِ تعالىْ يا ابنةَ الفجر
أعيدى لحنَكِ الخمرى

وغنِّيه على صـــدرى
وحيي ضِـــفَّةَ النهر
على مرأى من الزهر
بلحظ منكِ فتّـــاك وثغـــر منك ضحّاك
وهاتى من حـديث الأمس نَهْلا من حُمَيّاك

تعـــالىْ ظبيـةَ الوادى ففى مرآك إســـعادى
تعـــالىْ بلبلى الشـادى
تعـالىْ لحنَ إنشادى
فأنتِ المشفقُ الهـــادى
وسـلوى خافقى الصـادى
سـبانى حسنك الزاكى وأغرى مِزهرى البـاكى
فهـذا اللحنُ — لو تدرين — قد أوحتْه عينـاك ! !

حنـــين

أيُهـذا الذى أحِبُّ مليًّا ... بعضُ هـذا الجفاء صعبٌ عَليّا
بعض هـذا الجفاء حطّم قلبى ... وأسال الدمـوعَ من مقْلتيا
أنا أهواكَ يا قداســـةَ إلها ... مى و إن كنت فى هواكَ شقيا
أنا أهـواك نبعَ حب قوى ... لستُ أدرى إن كنت منه خليّا
إن حسبى من إفتتانك روحٌ ... كنسيم الصباح ضاعَ شَـذِيّا
حبذا أنتَ من حبيب مَطولٍ ... حبُّه لا يزال فى القلب حيا
مَن مُجيرى من الهوى وشفائى ... من صروف الغرام بات عصيا ؟

عادنى الشوق فى مكان بعيد ... صرتُ فيـه المعذّبَ المنْسِيّا
كم تلفتُّ كالغريب وحيداً ... لا أرى فى الوجود شـيئاً بهيا
أسألُ الموجَ فى التياع ووجـد ... عن أحبائى . . عن سعاد وريّا
رب ليلٍ قطعتُـــه أتعزّى ... بادٍّ كار الحمى .. وأبكى النَـدِيّا
لم أزل أذكرُ الربوعَ كأنى ... كنت بالأمس للربوع نَجيّا
وأنا النـازحُ المقيم بأرض ... أظمأتْ مهجتى وجارتْ عَليا
كيف أنسى لياليًا قد تقضّت ... مثل حلْم قضى لذيذاً هنيّا ؟
يا ربوعَ الهوى أغيثى فؤادى ... يا ليالى الوصال عودى إليّا
أنا أبكيك بالهتـون من الدمـ ... ـع وما كنت بالدموع سخيا
إن أيامَنا القصار — سقاها الحـ ... ـبُّ — قد خلّفت جوىً أبديا

لم أزل ذكرُ الهناءةَ تعرو نى وكفُّ الحبيب فى راحتيا
أذكر البسمةَ الوضيئةَ والإشراق والسحر والجمال الحييا
والسموّ الذى أفاض علينا من معانى الجلال معنىً خفيا
تلك نُعمى من الزمان تقضّت وانطوتْ فى غياهب الدهر طيا !

أترى الحىُّ لا يزال نضيراً زاهراً بالجمال رحْباً نَديا !
والأزاهير فى رباه أمازا لتْ تُناجى أَديمَه الذهبيا !
وصباياه آيةُ الحسن فى الأر ض أما زال سحرهن عتيا !
أين ليلى ؟ وأين أيام ليلى ؟ ياشبابَ الحمى .. وأين الثريا !
ومجالى الغرام فى شاطىء النيـ ـل وصوتُ الهزار يشدو شجيا ؟
كم جلسنا على الرمال وهَيأْ نا بحضن الرمال ما لم يُهيّا
فشربنا من الغرام كؤوساً مترعات والبدر كان وضيا
وسهرنا مع النجوم نُناغى همسةَ الموج أو نناجى الثريا
لم نكن نحسب الزمانَ سيشقينا وقد كان باللدات حفِيا
لو علمنا بما يكن ويُخفى ما تركنا له من السعد شيا !

يا نصيبى من الهناء أتنسى ما قطعناه من عهود سويا ؟
فعزائى عن ابتعادك ذكرى إن ذكرتَ العهودَ عشتُ رضيا
قد قضى الله بالفراق فصبراً ربَّ صبر أدنى البعيد القَصيّا
لو يخونُ الودادَ قلبٌ فقلبى لا تراه الزمانَ إلّا وفيا ! !

الفاتنة

« مهداة إلى الأستاذين على السراج وعثمان شبيكة »
(فى حفل جامع ضم الشاعر وبعض الرفاق طلعت حسناء تقدم الجوائز للمتسابقين وكانت غاية فى الروعة والجمال فطلب إليه صديقاه أن يتحفها بشىء فأنشأ هذه القصيدة) :

قال صفْ لى آيةَ الترَف ... بعد ما لاقيتَ من صُدَفِ
ذلك اللاهى بأفئدة ... بين مُلتاع ومُرتجف
إن قلبى بعد غيبته ... هائمٌ من شدة الشغَف
أنت عندى خير مبتكر ... وهو عندي خيرُ متّصف !

قلتُ مثل الفجر حين بدا ... قال لا
لم تقل شيئاً ولم تصفِ
قلت كالأزهار مزدهراً ... قال لا
لم تقل شيئاً ولم تصف
قلت مثل الفرع منثنياً ... قال لا
لم تقل شيئاً ولم تصف
قلت ظبىٌ ساحرُ المُقَل ... نافرٌ كالجؤذَر الوجِل
لو خلىَّ البال شاهده ... بات فى همّ وفى شُغُل
خدُّه كالنرجس النضر ... شفّ عن سحر وعن خجل

ثغرُهُ كالبـــــارد الشَـبِم لفظُهُ يُغنى عن القُبَـــل !

قال لى ياشـــاعرَ الغزل هاتِ لى
لم تزد شيئاً ولم تصـــل

قلت نـورٌ قال فى أمـل هات لى
لم تزد شيئاً ولم تصـــل

قلت بـدر قال فى عجـــل هات لى
لم تزد شيئاً ولم تصـــل

قلت شمس قال فى لهَف هات لى
لم تزد شيئاً ولم تصـــل

قلتُ مثـل « الباسم » الغرِد ذلك القـاضى على كبدى
إنما « البسَّام » — والهفى — زاد شيئاً ليس فى أحـد
زاد فى سحر ابتسامتـــه فهو فيهـــا جـدٌّ منفرد
قال إى ياشـاعر الغـزل ياحليفَ الوجـد والكمد
إن من أبْدَعْتَ صـورتَه لم يكن إلّاه فى خَـلَدى !

باعثَ الألحـان من نَغَمى عشتَ فى عـز وفى نِعَم
كلمـا ألقـاك يخطـر لى مـورث الآلام والسـقم
ياشـبيهَ « البـاسم » اللّدِن غبْتُما عني .. فوانَـدمى !

قال خـلِّى وهو فى ألم من تبـاريحى ومن ألمى
أنت قد حرّكت لى شجنى أيهـا الشـادى فـداك دمى
دمتَ « للبسَّـام » فى شـغُل شـاغل عن كل مبتسم !

سحر الجنوب

من نسيم الصبا بُعَيْدَ الغُروب هاتِ ترنيمةَ الجنوب الحبيب
هاتها من قيثار الشعر لحناً عبقرياً من فيضه المسكوب
من يصوغُ الجنوب عقداً فريداً إن تكتّمتَ ياهزار الجنوب ؟
إنه الحسنُ فى أرق معانيه تجلّت آياتُه للّبيب
تقرأ السحرَ فى الطبيعة فى الأنداء فى خُضرة الأديم الخصيب
فى صفاء الغُدران فى رقة الأنسام فى صفحة الأصيل الخضيب
فى وميض البُروق فى ثورة الأجواء فى غضبة الخريف الرهيب . .
حُلَلٌ من مفاتن السحر شتّى وجلالٌ ملء الفضاء الرحيب !

إيه ياجنةً نسيتُ لديها مااعترانى من الأسى واللُّغُوب
شاقنى فجرُك الضحوكُ وأغرانى بإصباحه السنِّىِّ الخَلُوب
وسبانى الأصيلُ والشمسُ تُهدى سحرَ إشعاعها قبَيْل المغيب
إن يوماً قضيْتُه عند « سوباطَ » بعيداً عن عاذلى ورقيبى (١)
شدَّ ما أطرب الفؤاد وأغرى مُهجتى بالغرام والتشبيب
ذلك النهر كم تَطيبُ لديه همساتُ الهوى ونجوى القلوب
وإذا هبّت الهَبوب عليه فالشذى من نُفاح تلك الهَبوب !

---

(١) نهر سوباط من أنهار جنوب السودان

أرأيتَ الأزهار فى شطه النضـــــر تحيي الندى بثغر شنيب ؟
أو سمعتَ الأطيارَ فى مطلع الفجـــر تُغنى لحنَ الصباح الطروب ؟
فتِنتْنى ضحىً فتاةٌ من « الشُلْك » كساها ثوبُ الجمال المهيب[1]
حملت جرّة المياه وراحت تتثنى مثلَ القضيب الرطيب
غادةٌ تسلبُ الخلىّ نُهاه وتردُّ الهنـــاء للمسلوب
كلُّ ما فى الجنوب نبعٌ من الســحر ووقد من الهوى المشبوب
جل من أبدع الجمال ليفنى فى معانى الجمال كل منيب
إن ضم الجنوب وقفٌ علينا باتجاه الشمال نحو الجنوب ! !

---

(١) قبيلة من قبائل الجنوب

نهاية الحرب(*)

بَسَمت كإقبال البشائر وزكت كأنفاس الأزاهرْ
وشدَتْ بلابلُها الطرابُ فأيقظت ميْتَ المشاعر
والجوراق فَلطّفتْ أنسامُه لفحَ الهواجر
دنيا غدت بعد الجحيم لطيفةً تَسبي النواظر
صدَحتْ بأنغام السلام فألهمت لحنَ المزاهر
وتبدل الأمس البغيضُ بحاضر كالشمس باهر
وتحقق الأمل الذى قد كان يشغل كل خاطر !

عادت حياةُ الأمن والإسعاد تزخر بالمآثر
والنصر أقبل كالسنى المرْجوِّ فى حلك الدياجر
وافى كإقبال الربيع الطلْق فتان المناظر
وسرى كما يسرى النسيمُ مضمخَ الأنفاس عاطر
وافى فأنقذَ عالم الإنسان من تلك المخاطر
كم والدٍ رضيَ الفراق وحرَّه عن طيب خاطر
وفتىً جفا وطنَ الحبيب وغالبَ الدمعَ المبادر
وصبيةٍ هَجَرتْ فتى أحلامها والقلبُ عامر ؟
خُضْنا غِمارَ الحرب لم نخش العواقب والمحاذر

(*) الحرب العالمية الثانية .

فقد كان كلُّ رجائنا أن تستجيبَ لنا الضمائر
فيكونُ للسودان حقٌ لا يَضـــيع ولا يُصادَر !

يا أيها الحِلْف العظـــيم عساك للمحروم ناصر !
كافحتَ عن حق الشعوب وصنتها من كل جائر
وجمعتَ — رغم البعد — مختلف المشارب والعنـاصر
فاذكر مـــدى الأيام شعباً كان فى البلوى مؤازر
صـــفحاتُه فى النصـــر رمزٌ للرجـولة والتضافر
فاخرتَ بالســـودان والسودانُ أهلٌ للمفاخر
ردّ الجميلَ لأهـــله إن كنتَ للمعروف ذاكر !!

نصير العلم

« ألقاها الشاعر بنادى ملكال عام ١٩٤٥
فى حفلة تكريم الأستاذ محمد عبد الهادى
مفتش التعليم المصرى بالسودان سابقاً
عندقدومه لافتتاح مدرسة ملكال الابتدائية»

حيِّ قطب النيل فخرَ الهرمِ ... حيِّ مقياس الحجى والشَّمَمِ
واشدُ لحنَ النيل فى ضِفّته ... ساحرَ الأوصاف حلوَ النغم
مرحباً بالفجر فتان الرؤى ... والسحابِ الهطل رحبَ الديم
قيل هذا العلم فاصدح للنهى ... بالنشيد العبقريِّ الملهم
قلت يامرحى ! ولكن ليس لى ... قوةٌ غيرَ الشعور المفعم
لست إلا سابحاً فى لجة ... من محيط زاخر ملتطِم
مزهرى الظمآنُ من فرط الجوى ... هات إلهام الهوى المنسجم
واشدُ بالنزر على قلّتهِ ... فهو من وحى فؤاد مغرم!

ياغماماً جاءنا فى زورة ... ذات معنىً — ليس يخفى — قَيِّمِ
أنتَ فى كل فؤاد خفقةٌ ... يانصيرَ العلم وابنَ القلم
لستَ فى السودان ضيفاً إننا ... فى صعيد ليس بالمنفصم
يابن وادى النيل هذى أرضُه ... فاسقها من روحك المقتحم
حيننا والله — إن عز اللقا — ... رَحِمٌ أحببْ به من رحم
إن فى السودان نشئاً ظامئاً ... حظُّه حظُّ الغراب الأسحم

فاته ركبُ الأمانى فانزوى ... باكياً ركبَ الأمانى بالدم

كم شبابٍ عاش محرومَ النهى ... وانتهى رهنَ الأسى والندم

ليس هذا النّزْر يكفى أُمةً ... روحُها فوق مُقام الأنجم

قد غرَسْتُم هذه الروح . . فما ... قيمةُ التعليم إن لم ننعم

حارسيِ الفصحى وما الفصحى سوى ... فخرنا الباقى غداة المغنم

إملأوا السودان علماً إنه ... صدرُ وادينا العزيز المكرَم

لن ينالَ القومُ من عزتنا ... ما أقام النيل عذبَ المطعم !

نشيد الجنوب

« نشيد النفس الطليقة المنتشية من سحر الجنوب الأخاذ
ألقاه الشاعر فى الحفلة التمثيلية التى قام بها أعضاء نادى
ملكال عام ١٩٤٥ »

حيِّ الجنوبَ تحيـــةَ المتبتِّـل ... وانزل - على اسم الله - أرحبَ منزل
واختَرْ من الزهَر المنمَّق باقَـةً ... تزكو بها أرجاء هـــذا المحفـل
فى ليلةٍ ليلاء زاد جمالهـــــا ... قبسٌ من الجمع الرشـيد الأمثـــل
قد نالنـا من فيضهم وشعورهم ... مجدان . . مجدُ هدًى ومجد وتفضل !

ما بالُنـا نذرُ الجنوب ، وسحرُه ... يُملى علينـــا أن نراه ونجتلى
فأديمُه من سنْدُس وأصـــيله ... يَسبى فؤاد النـاظر المتخيـل
هلّا وقفتَ على الربى تُصغى إلى ... لحن الطبيعة فى خرير الجـدول
والنيـل يجرى فى الشِّعاب مُرقرقاً ... عـــذباً كمختوم الرحيق السلسل
جئنـا نَمُـــدُّ أياديا لا تنثنى ... عن قصـدها حتى تنـــالَ وتعتلى
بعزيمـــة تُحيي النفوسَ وهمَّـــة ... تُذكى شـعورَ الخـامل المتمهل
والمـرءُ إمَّا قاده نحو العـــلا ... روحٌ يرفرف فى السماك الأعـزل
فهو الذى يُرجى لـكل كريهة ... وهو المرادُ لـكل أمر مُعْضـــل
هـــذى جهودُ شبيبة محمودة ... بُذِلت بعزم الصـــابر المتحمل
بذلت بروح لا يُتـــاح لعاجز ... والبـذل من شيَم الكريم المجزل

هى فكرة ملكت زمام نفوسنا ... وسمت بعزم شبابنا المتهلل
لما دعا داعى الإخاء توحدوا ... والاتحاد قوام كل مؤمّل !

أهديكَ يا خِدْن الشمال تحيةً ... كالروض حيّته السحائب من عل
وبقيت عن محن الزمان بمعزل ... ورعتك رحمةُ ذي الجلال المفضل
مهدَ الطبيعة دام فيك وفاؤنا ... ما دام هذا النيل عذبَ المنهل
فاذكر على مرّ الزمان جهادَنا ... واشهد لنا بالمجد فى المستقبل ! !

أمل ضائع

هو الحبُّ قلبي فكيف النجاء ... وقد ملك الحبُّ منك الزمامْ ؟
تروح وتغدو على ناره ... لك الله من والهٍ مُستهام
فجاهِرْ بوجدك أو لا تجاهرْ ... فلا الجهرُ يُجدى ولا الاكتتام ؟
ومن ذا يُجيرك من ظالم ... له فى شغافك أسمى مقام ؟
وكيف الخلاصُ وداء الغرام ... حبيبٌ وإن كان فيه الحِمام ؟
إلى الله أشكو صروف الغرام ... فكم بدّلتنى صروف الغرام
وأشكو إلى الله فعلَ الفراق ... فلم يُبْقِ غيرَ الضنا والسقام

رعى الله ربعَ الهوى والجمال ... وحيّاه بالهاطلات السجام
فما فيه غيرُ المها والظباء ... وسحرِ الجفون وفتْك السهام
وما ذُكر الحيُّ إلا انتفضْ ... تُ وعاد الفؤادَ سعيرُ الضرام

ولى خافقٌ فى حنايا الضلوع ... يعيش على ذكريات الوئام
ولى مقلة همُّها أن تراه ... — مسهدةٌ — أبداً لا تنام
ولى أملٌ فى طريق الضياع ... . . له الله من أمل لا يُرام
ولا ذنبَ لى غير أنى المحبُّ ... أقام على عهده . . واستقام
ولا للحبيب سوى أنه ... تنزّه فاختار ذاك الخصام
فإن تعجبوا فاعجبوا للذى ... تصدّى . . فنال المنى والمرام !

سلِ الفجر يُخْبِرْك عن لوعتى ... سلِ الليل عن مضجعى والظلام
سل النيل عني فكم ذا وقفتُ ... وناجيتُه بالهوى والهيام
وأودعتِه من شغاف الفؤاد ... لهيفَ الجوى ورقيق الملام
تعال ابتسم يا حبيب الفؤاد ... فكم ألهم الوحىَ منك ابتسام
وجُدْ لى — فديتُك يا ما لكى — ... بطيف يُعانقني فى المنام
ويا باسماً ليس يدرى العُبوس ... رعاك الهوى وسقاك الغمام !!

وداع

جفانَى من أهوى ولم أدر ماذنبى ... فواهاً على قلبى وآهاً على لُبى !
وياضيعةَ العهد السنىِّ فلم يكن ... سوى الأمل البرّاق للنفس والقلب
سلامٌ على ذاك الجمال وسحره ... سلامٌ على عهد الهوى اليانع الخصْب
غدرتَ — معاذَ الحب — لو كنتَ غادراً ... لأوليتَنى خيراً وهوّنت من خطبى
سأهواكَ — رغم النأى — مادمتُ أرتقى ... إلى المثَل الأعلى .. إلى المجد والحب ؟

وأنت الذى أوحيتَ أسمى مَلاحِـنى ... فـكانت عزاء القلب للمدنف الصب
خليليّ كفّا عن عتـــــابى فإننى ... رأيتُ الأذى فى الحب خيراً من العَتْب
أنا العاشـق المحروم والعشق آفة ... وما لفـــؤاد هدّه العشقُ من طِبِّ
ويا أملى هذا فـــؤادى فَطِرْ به ... فليس لقلبى بعدك — الدهرَ — ما يُصبى
وإنك فى عينى وروحى وخاطرى ... وما زلتَ وحيى فى البعاد وفى القرب
سـأهواك رمزاً عن عذاب أُحبُّـه ... وإن لامنى أهلى وأنـكرنى صحبى
فلا البعدُ يُنسينى هواك ولا النوى ... يبدِّل إخلاصى إليك ولا حـــبى
وداعاً — وداع الروح — ياغاية المنى ... وقد نلتـــقى يوماً فأعرف ماذنبى
فراقٌ وتسهيد ووجـــــد ولوعة ... وتضييعُ آمال . . لكَ الله ياقلبى ! !

مناجاة قلب

أيها الخـــافقُ الذى فى الضلوع ... هل أفاد الغرامُ غـيرَ الدموع ؟
كم أطلتَ الشكاةَ ياقلب لـكن ... ما لشكواك هـــذه من سميع

صاح إن الدموع ضاعت هبـاءً ... واللقاء السعيد صـــار جفاء
لاتلمْـــهُ ولُمْ حنينَـك إنى ... ما عرفتُ الحنين إلاّ شـــقاء

إنّ ذاك الحبيبَ غـــيرُ ملوم ... ليس قلبُ الصحيح مثلَ السقيم
كنتَ بالعطف والوصال حريّا ... لو تأنيتَ قبـل وَطء الجحيم !

أيها القلب ما لِهمِّـــك آخرْ ... طالما أنت بالصـــبابة شاعرْ
فيك عيبٌ هو الوفاء . . وعيبى ... أننى لا أجيـد كبْحَ المشاعر !

عجبٌ أن تظلّ عـبرَ الطريق ... هائماً فى هواك غـيرَ مُفيق
والحبيبُ الذى هويتَ زماناً ... — يالبَلواك — مفرطٌ فى العقوق

يانجىّ الهمـوم والأحزان ... ليس بعد الصدود غيرُ الهوان
لاتدَعْ ذكرَه يطـول فإنى ... بتُّ أخشى عليك أن تنسانى !

كيف تَرجو من الغرام التئاما ... يافؤادًا قضى الحيـاةَ غراما ؟
لاتخل فرحةَ السلوِّ سـتدنو ... بعـد ماألهبَ الشغاف ضَراما ؟

أنا راضٍ بالهـم والآلام ... أَلَمَى خالدٌ خـلود غرامى
من تُرى يحمل الصـبابةَ عنى ... غيرُ قلب قد بات بعضَ حُطام ؟

خلنىِّ يافؤادُ نَهْبَ التـأسى ... إن يومى من الهمـوم كأمسى
واعفُ عنى — كما عفوتُ — فانى ... قد وهبتُ الغرامَ روحي وحسى !

تحية كردفان

« مهداة إلى الأستاذ الفاتح النور بمناسبة إصدار مجلته (كردفان) »

صحـا قلبى فذكّرنى الرمالا ... وذكرنى المرابع والجمَالا
وحنَّ إلى «عروس الغرب» حتى ... تمنّى أن أشدَّ لهـا الرحالا
فؤادٌ كلمـا أغراه ماضٍ ... من الذكرى . . أقام له احتفالا

وهل ينسى فؤادُ الصب عهداً ... تقضى أسعدَ الأوقاتِ حالا ؟
وأياماً — رعاها الله — كانت ... منى المشتاق بل أندى ظلالا
صحبتُ بها الصبا غضاً غريضاً ... وسايرتُ الهوى عَذْباً زُلالا
وعاشرتُ الرفاق فكان ودٌّ ... سيبقى صدقُه أبداً مثالا !

بنفسى أنتِ ياموحى قصيدى ... وأولَ هاتفٍ أوحي الخيالا ! (١)
أُحيي فيكِ خلاناً كراماً ... صوارمَ ليس يدرون الكلالا
جَلَوْك لنا مهفهفةً تُحاكى ... نسيم الفجر نشراً واعتلالا
« أفاتحُ » يا صفيَّ النفس ماذا ... أقول ؟ وقد أتحْتَ لىَ المقالا !
أَجدَّك ياصديقى إن هذى ... شعابُ القطر ترتقب « الهلالا »
ليكشف عن رمال الغرب ستراً ... توارت خلفَه حِقَباً طوالا
ويُسْمعنا نشيدَ المجد سِحْراً ... نتيه به ونرشُفه حلالا
نريد لنهضة السودان فِكراً ... يناضلُ عن قضيتنا نضالا
يدافع عن حقوق ضائعات ... عزيزٌ أن تزولَ وأن تُدالا
وما دام الشباب الحرُّ فينا ... فلن يجدوا لشُعْبتنا انفصالا
فإما أن نعيش به كراماً ... وإما أن نودعه رجالا !

ألا « يا فاتحاً » للمجد داراً ... رأيتُ المجدَ يصعُب أن يُنالا
فلا تَقْصِر جهودَك وامضِ حتى ... تنالَ مَداه سعياً لا ارتجالا
أزفُّ إليكَ من شعرى نشيداً ... كساه روحُك العالى جلالا

---

(١) مدينة الأبيض التى نقل إليها الشاعر وقد كان يافعاً.

وأبعثُها تحيـــةَ ذى وداد ... تشابهُ ما اتصفتَ به خلالا
وأكبرُ فيك روحاً عبقرياً ... أبى إلّا اندفاعاً واشـــتعالا
بمثل خُطاك نخطو للمعـــالى ... ونقفزُ للتى عزّتْ مَنـــالا
فسرْ للمجـــد محمودَ المساعى ... تُظلّلك رحمةُ المولى تعالى!

أبو العلاء المعرى

« أهديها إلى حكيم المعرة "وفيلسوف الشرق
بمناسبة مرور ألف سنة على وفاته »

أصابَ الحقيقـةَ أم لم يُصبْ ... فقد كان حقاً فريدَ العربْ
وكان على فقده ناظِريْـه ... منارَ العـلوم لشرق وغـرب
قد اختلف الناس فى شأنه ... فهذا عـدوٌّ وهـــذا محب
وما بلَغتْ شأوَه النـــيِّراتُ ... فقد كان فوق مُقام الشهُب
رسائلُه الخـــرّدُ الغاليـاتُ ... هى التاجُ حـلّى جبينَ الأدب
فكم آيةٍ من رقيق الخيالِ ... تخايل كالكأس ذات الحبب
وكم منطق يستميل القـلوبَ ... ويفعل فى النفس فعلَ الطرب
وكم حكمة من رصين البيان ... هى الدرُّ — خالصة — لم تُشَب
تفرد فى شـــعره العبقرىِّ ... فأهدى إلى الشعر بنتَ العنب!

لقد ضاق ذرعاً بهذى الحياة ... وعالَمِها الصاخب المضطرب
أقام بهـا مُكرهاً ساخطاً ... إقامـــةَ ذى غربة مكتئب

فما متعةُ الدار إن لم تعِزّ ... وما قيمة العيش إن لم يَطب !
عجبتُ له كيف مجّ الحياةَ ... وأعرض عمّا بها .. واحتجب !
وكيف استطاب حقيرَ الفراش ... وفى قبضَتيه كنوزُ الذهب !
ففى العلم مرتبةٌ للرجال ... مكانتُها فوق عالى الرتب
ولكنه كان عفّ الضمير ... فلم يَبْغ جاهاً ولم يكتسب
تغرب للعلم شأنَ الطَموح ... فنال من العلم ما يَطّلب
وقالوا تفلسف هذا الضريرُ ... وأكثر من مَيْنه والكذب
ولو أدركوا كُنْهَ ذاك الضياء ... لما أنكروا سحْرَه المُختَلب
هو الحقد يملأ صدرَ الحسود ... ويوقد فيه سعير اللهب
وما المرء إلا رهينُ العداة ... إذا نال مجداً عزيز الطلب !

قم انظر إلى الشرق فى غبطة ... وشاهد جهاد بنيه النُجُب
فكم جددوا من قديم التراث ... وكم أخلصوا لرجال الأدب
فسر ساعة تلقَ ما يستريحُ ... إلى نَهْله روحُك الملتهب
وطفْ بالأثير تجد ما يثيرُ ... من الوصف فى يومك المرتقب[1]
وقف لحظة عند أهل الخيال ... وخذ نظرة فى حنايا الكتب
ستخلد فى الشرق آثار من ... أشاد بفضل لسان العرب
صحائف تبقى — برغم الزمان ... — محط النُهى ومثارَ العجب
سلامٌ على روحك العبقرىِّ ... وحياك هطْل الحيا المنسكب !!

---

(١) إشارة إلى احتفال الاذاعة العربية فى لندن بمرور ألف سنة على وفاة الفيلسوف .

روح الجهاد

« دعوة مخلصة نظمها الشاعر حين تلبدت الغيوم وتنافرت النفوس »

ملء نفسى أسىً وملء فؤادى ... فاصغيا لى إن شئتما إسعادى
وقفا بى عند الجديد قليلا ... ودعانى من القديم المُعاد
هاتها ياخيال تُحيي أمانىّ وتذكى الحماس فى كل نادِ
نحن فى فترة من الدهر ظلما ... ء عليها عماد هذى البلاد
لن ننال الحقوق إلاّ بعزم ... ذى مَضاء ومِشعل ذى اتقاد
وشبابٍ هو الفداء بعينيه وما أكرمَ الشباب الفادى !

هى دنيا من الجحيم تراءتْ ... لضعاف القلوب دنيا ارتياد
فتنتهم فجاهدوا فى هواها ... لكأنّ الفساد كلُّ العتاد
وسعوْا للدمار سعياً حثيثاً ... ليس من رادع لهم أو هادِ
أيها الغافلون والدهر صاحٍ ... ليت شعرى إلامَ هذا التمادى !
ذلك اللهو والمجون لشعب ... هانىء بالنعيم والإسعاد
ليس يؤذيه فى الصميم دخيل ... أو يُنادِى بالعَسْف فيه مُنادِ
نحن نحيا — إذا غفلْنا — أذلا ... ء حياةَ العبيد فى الأصفاد
كالقطيع الشريد أهمله الرا ... عى فضلّ الطريق بين الوهاد
علم الله ما جَبُنّا ولكن ... شاعَ فينا تحزُّبُ الأفراد
فنسينا — لله ما قد نسينا — ... وطناً صارخاً وشعباً ينادى

وطنـــاً أرضه الزكية تبر وبنوه الـــكرام رمزُ السداد
ليت شـــــعرى إلامَ نرسف فى الذل وكيد الزمان بالمرصـاد ؟ !

ياشبابَ البـــلاد هُبُّوا سراعاً إن يوم الجهـــاد صعبُ القياد
إن من شيمة الرجال التغاضى عن شـــقاق يَحُزُّ فى الأعضاد
جاهدوا فى الصفاء قبـل التنادى فصفاء النفوس روح الجهـــاد
ياشـــبابَ البلاد أنتم حمانا إن دَهَتْ شعبَنا صروفُ العوادى
ما الذى ضرّ لو محـــونا جميعاً ما أضر النفوسَ من أحقاد
لنُصافى — فى وحدة — من يُصافى ونُعادى — فى وحدة — من يُعادى!

حول يحول

« نظمها الشاعر بعد عام من نظمه قصيدته « وداع » وأهداها
إلى صديقه « صاحب المزمار » مقترح العنوان »

ولقد مضى عام فكيف وجدتنى ياسائلى بعـــــد الفراق القاتل !
عام هصرتُ به نضـــير شبيبتى فغدوتُ مثل الهيكل المتخـــاذل
وأضعتُه فى الحب عمراً باكراً لم أحظَ فيـــه بغير همٍّ شـاغل
وهواه — يالَهواه — أورثنى الضنا لم أنجُ منه ولا رسوتُ بســـاحل
حاولتُ أن أنسى هواه تشفياً منـــه . . فما نَجَحَتْ جميعُ وسائلى
قمـــرٌ إذا شبّهتَه بشبيهـــه لعجبتَ من قمـــر السماء الآفل !
تلقـــاه فى مرح الهنـــاءة باسماً كالصبح أسفر عن ضياء شامل
وإذا سمعتَ حديثَـه لطربت من نغَم — كترجيع المزاهر — حافل

وعيونُه . . لو شِمْتَ سحر عيونه لغدَوتَ مسحورَ اللحاظ البابلى ! (١)

يا أيها الجانى علىَّ بهجره يهنيك إخلاصى وصدقُ شمائلى

يهنيك أنى كلما نال الجوى منى . . شكوتُ . . فلا تجودُ بنائل

حبّبتَ لى دنيا الهوى فطرقتُها ودنوتُ منك . . فما ظفرتُ بطائل

وبسمتَ لى حتى إذا ازدهت المنى وشغلْتَنى . . مَنَّيْتَنِى بالباطل !

وسكنْتَ قلباً أنت كلُّ رجائه لَهَفى على قلب بحبك آهل

هبْنى صبرتُ على فراقك أشهراً دامى الفؤاد حليفَ جسم ناحل

من ذا يُصبرُنى عليك وقد قضى أمرُ النوى بتباعدى وتنازلى ؟ !

والصبرُ أقسى ما يكون من امرىء يهفو لشىء ليس فى المتناول !

يا سائلاً عنى بُعيْد فراقه أوَ ما سمِعْتَ ملاحنى ورسائلى ؟

يلتَفُّ من حولى الرفاقُ كأنهم صرْعَى من الوجد العصوف القاتل

أنضاءُ شوق ينصتون لعاشق يشدو لهم فى غبطة كالجاذل

ولوانهم علموا دخيلة نفسه لبكوْا عليه بقلب أمٍّ ثاكل

هم يَطربون ويعجبون بعقله لكنه فى الحق ليس بعاقل !

يا أيها العام المعينُ على النوى كدّرتَ لى — أبدَ الحياة — مناهلى

بَدَّدْتَ أحلامى وزدتَ لواعجى وتركْتَنِى لتتاعبى ومشاغلى

ذكّرتنى عهد الهوى فإذا به تسويفُ مُعتسف وجوْر مماطل

أين المنى الزهراء ؟ أين عهودُنا ؟ بل أين مِيثاق اللقاء العاجل ؟

---

(١) لحاظ : مفرد وجمع

حولٌ يحول عن الحبيب ووصله ... وعن المنى .. واهاً له من حائل !
أنا قد فقدتُ مُنـاى فى شرخ الصبا ... ودفنتُ أحلامى فعمّ تسـاؤلى ؟
أملٌ تراءى للفؤاد هنيهـةً ... ثم اختـفى بدموع صب آمل
فليشقَ هـذا القلبُ فى تهيـامه ... وليحظَ بالنوم الهنىء عواذلى !!

بين شاعرين

« هنالك بين أجواء الجنوب المنعشة الساحرة تسنى للصديق الشاعر الدكتور على باخريبة أن يقرأ ديوان الشاعر وينفذ إلى صميمه فتكرم باهداء هذه الباقة اليانعة إليه » .

إنّ القريض الذى أرسـلتَه درراً ... قد صغتَه اليوم ـ باسم الله ـ ديوانا
فجاء كالروض ما أبهى محاسـنه ... ما أنْضَر الزهرَ أشـتاتاً وألوانا
يا بلبلَ النيـل كم أطْرَبْتَنا غَرِداً ... غرستَ فى أدب السودان بستانا
تالله ما قلتَ من وصف ومن غزل ... أو حاكه الله إكراماً وإحسانا
فاليومَ نقطف من أزهاره حكما ... ونشقُ اليوم — يا بشراك — ريحانا
قرأتُه فسكبت الدمع من طرب ... وصرتُ من نشوة الألحان نشوانا
لله درك قد أبدعتَ قافيـةً ... وكنتَ أروعنا قولاً وتبيانا
هذا هو الشـعرُ فلنفخرْ بناظمه ... ما افترّ ثغرٌ بسحر اللحْن جذلانا !

« فرد عليه الشاعر بالأبيات التالية وقد كان
على أهبة الرحيل من الجنوب الحبيب » .

يا ناظمَ الشـــعر مثل الدُّر تيجانا ... أُبدى لك اليومَ ما أخفيتُ أزمانا
قلّدْتَنى من بديع القـــول قافيةً ... يشدو بها القلبُ إخـلاصاً وإيمانا
ماذا أقول ؟ وقد أوليْتَنى ثقـــة ... فوق الذى كان تقديراً وإحسانا
ماذا أقول ؟ وأنت القـــول أجمعُه ... يكفيك خُلْقُك مـــيزاناً وإعلانا
لمستُ روحَك يا دكتور عن كثب ... فخلتها دائماً للفضـــل عنوانا
أقسمت أنك للسودان مفخرةٌ ... حجىً وعلماً وآداباً وعـــرفانا
إنى سأرحل عن هـذا الجنوب غداً ... والقلبُ يخفقُ وجـــداناً وتحنانا
فلى صحابٌ عزيزٌ أن أفارقَهم ... ولى فؤاد يرى النسيانَ كُفرانا
لو كان قلبى — رعاك الله — ذا جلَد ... على الأحبـة . . ما أبديتُ عِصيانا
لـكنّ قلبى — شفاه الله — ذو كلف ... فليرحمِ الحبُّ قلبـــاً بات هيمانا
فيا طبيباً حبانا من فضـــائله ... ما أثلج الصدرَ بالنُّعْمى . . وأحيانا
ويا أديباً نهلْنا من مـــوارده ... نبعاً من السحر أشـجانا وأروانا
ويا رئيساً نُفَـــدِّيه بأنفسنا ... ليهنِك اليومَ ما أحرزتَ رُجحانا[1]
إن النـدىّ الذى أوتيتَ سلطتَه ... يرجو على يدك البيضـــاء إيوانا
مُرْ ما تشاء ولا تحفلْ بعاصـــفة ... تلقَ الجميع إذا ناديتَ أعـــوانا !

---

(١) رئاسته لنادى ملكال عام ١٩٤٦ .

أغنية الليل

هدأ الليلُ فهيّـــا يارفيقى فى سكون الليل والسحرِ العميقِ

نوقظُ المزمارَ من غفوته

ونُغنى الليـــــل فى هدأنه

فى أمـانْ وتناج وحنانْ

وافتتان بين سحرىٍّ الجنان

هذه الربوةُ تدعونا فهيّا يارفيـقى !

أيهذا الليـــلُ هل تعرفنى ؟ وضفافُ النيـل هل تذكرنى ؟

أنا من غنّـــا كما شعر الهوى

وروى ســـحركما فيما روى

من أكونْ غيرَ قلب وعيون !

وشـجون ودموعٍ وحنين !

ليس هذا الصمت يَعنينا فهيا يارفيقى

إن تَلُذْ يالليـــلُ بالصمت فقد صمت السرُّ بقلـــبى للأبد

سرُّ حب كان جمّ الأمل

قد جرى فى العشق مجرى المثـل

من لنـا ؟ بعد إفـــلات المنى

إننّـــا قد بـــلوْ نا المِحنَا

ذكرياتُ الحب تُسلينا فهيا يارفيقى

عادنى وجدى وأعيـانى اشتياقى وتذكرت ليـــالىّ انطلاقى

كم جلسنا فى الروابى نتناجى

وغمرنا الجوّ ســـحراً وابتهاجا

واختلسْنا من رحيق الحب دنّا

ورأينـــا سَهَر البـــدر علينا

فاتنٌ حير مفتونا فهيـــا يارفيقى

قمرى أزرى بنور القمـــــر فيه تصوير لشـــــتى الصور

فيه سحرٌ لا يراه الآخرون

من بريق وابتسـام وعيون

وجمـــالْ ينفث السحر الحلالْ

وجـلال وحديث ذى دلال

كان بالآمال يُغرينا فهيا يارفيقى

غنِّ لحـــنَ الحب فى آفاقِهِ وأعِدْ ما ازورّ من إشراقه

راحتى ياصاح فى ترديد لحـــنى

سـيخِفُّ الهمُّ عنى . . فَلْتغنِّ

لحن حـبى وجوى قلبٍ محب

إن قلـبى رغم آهاتى وكربى

كم أسا بالشعر محزونا فهيـــا يارفيقى

أين أنتِ الآن يانورَ حياتى ؟ أين ماضٍ بات رهنَ الذكريات ؟

ذكرياتٍ عاطرات خالداتِ

فى خيـــالى وغنائى ورواتى

فى الضفافْ والأزاهير اللطـافْ

والشـغاف ناطقاتٍ بالعفـاف

قد أهاج النفسَ ماضينا فهيا يارفيقى

ها هو الفجر تراءى للوجود ينبىء الأكون عن صبح جديد

أرأيتَ النيـــل فى يقظته ؟

واصـطخابَ الموج فى ثورته ؟

والشروقْ ! يتراءى للمشـــوقْ

كالعقـيق فى اجتـلاء وبريق

عالَمُ الأنسان يدعونا فهيا يارفيقى !

الجزيرة المجاهدة

« مهداة إلى أهل جزيرة توق رمز التضحية والوطنية الحقة »

أَجدَّكَ لا يجدى بكاء المنـــازل ... فلا تشكُ بعـد اليوم من غير طائل

وجاهرْ بعصيان الفؤاد فقـد سعت ... إليك بمـا تخشى سهـامُ العواذل

وشارفْ ضفاف النيل واشهد رياضها ... ترَ الحسن منثوراً على كل ساحل

وما النيـــل إلّا فتنةٌ أزليـــةٌ ... تفيض بأحداث القرون الجلائل

وروضاتُه جنات عدن تناثرت ... تناثرَ عقـــد البشر بين المحافل

وتلك « عروس النيل » ياصاح غضةٌ ... تخايل فى ثوب من الوشى حافل

كلفتُ بها كالبـدر حسناً إذا بدت ... تحدث عن سحر الجفون القواتل

هنا متعـــة المرأى وأغرودة الهوى ... هنا منبتُ العلياء .. مهدُ الفضائل !

حنانيْـكِ « ياتوتى » فلى قلب طائر ... جفا روضَـه واندسَّ بين الأصائل

إلى عالم أرخى الظلامُ ســـدولَه ... عليـــه وحفّاه الدجى بالمجاهل

فودَّع أحـــلاماً وودع ماضياً ... وودع محبوباً لطيفَ المخَـــايل

إليكِ « عروسَ النيل » أسلمتُ خافقى ... فأنتِ عزاءُ القلب من كل شاغل

و إنك أدرى — جارتى — بالذى جرى ... وجارُك فى البأساء أوفى مجـــامل

إذا طرقتني سوْرة الوجد لم أجـــد ... سواكِ ملاذاً من غرامى المصاول

فكم جلسةٍ فى الروض بين الجـداول ... وكم وقفـــةٍ بين الربى والخمائل

وكم من أصيل شاقنى واستخفّنى ... فودعتُه فى الشط توديعَ آمل
وكم لى أحباءٍ هناك أُجلهُم ... وأكبرُ فيهم ألمعىّ الشمائل
متى جئتَهم ألفيتَ نفسك بينهم ... تروح وتغدو بين برٍّ ونائل
إذا نحن أجمعنا لدى البأس أمرَنا ... فهم خيرُ من يُرجى لِحَمْل المشاعل

ألا أيها النيلُ العظيمُ أهذه ... «عروسُك» أم مهدُ الكماة الأماثل ؟
أتذكر ما قاموا به يوم أُرْغِمُوا ... وكانوا ـ غداةَ الروع ـ مثل الجحافل ؟
فهم جاهدوا فى الحق شيباً وفتية ... وذادوا عن الأحواض ذوْدَ البواسل
وعزّ عليهم أن تضيع حقوقهُم ... جزافاً وإن حالت جميعُ الحوائل
ذكرتُك « توتى » ـ والأمانىُّ جمة ـ ... فقلت لنفسى بعد طول التساؤل
ألا ليتنا كنا لجسم موحّد ... ولِيتَ الذى نهفو له غيرُ باطل
نريد لقاءً لا تفرق بعده ... يقى شعبَنا المنهوكَ شر التحايل
إذا الشعب نحو المجد عمّ ائتلافه ... فكل الذى يبغيه سهلُ التناول ! !

فى محراب الشاعر

شاعرَ الحب والجمـــال ... هات تغريدةَ الصـــبا
هاتها عـــذبة الخيال ... كلما شمت كوكبا
ضنّ أو جاد بالوصال ... وارتضى الحب أو أبى
لست تسعى إلى المحال ... إن تعشّقتَ « زينبا »
إن دنَتْ منك ذاتُ خال ... فادنُ منها مُرحِّبا
أو تولّتْ ولم تبال ... غنّها الشـــعرَ مُعجَبا
خلق الحسن للمقال ... فلتكنْ فيـــه مُسهِبا
وارضَ يا صاح بالدلال ... لن ترى منـــه مَهربا
غنِّ للنيـــل . . للجبال ... للأزاهـــير فى الربى
للثرى النضْر . . للرمال ... للصبا اللدْن . . للظِّبا
أجملُ الشىء أن يُقال ... شاد فى الحب مَذهبا !

شاعرَ المجـد والـكفاحْ ... هات أنشـودةَ الجهادْ
وادعُ للبـذل والطِّماح ... كلَّ جَمع وكل ناد
واملأ الحزْن والبطـاح ... فى حماس وفى اعتـداد
بالترانيم والصُـــداح ... رافعاً رايةَ القيـــاد
فى رجال ذوى سماح ... وشـبابٍ همُ العتاد
إن دربَ العـلا مُتاح ... للـذى يمقتُ الرقاد

للذى همُّه الصلاح إن طغت موجة الفساد
آن للشعْب أن يُراح من حديد ومن حداد
هذه أنّة الجراح هذه خفقةُ الفؤاد
فغداً يشرق الصباح وغداً تنعم البلاد
ما على الشعب من جُناح إن علا شامخاً وساد !

شاعرَ النفس والشجونْ أين ترنيمةُ الضميرْ ؟
نحن لا نسمعُ الأنين وهو قد يوقر الصدور
من لطفل أتى لهون ساعة الطيش والغرور ؟
فنما يلعنُ السنين وغدا منبعَ الشرور
ولحسناء قد تكون أبعد الناس عن فجور
ضرّها الذل كى تخون عرضها وهى تستجير
من حياة هى المنون لفّها الخزُّ والحرير
لا تخَلْ دعوةَ الفتون من بغىٍّ سوى نفور
فى غد تظهرُ الغضون ويحول الصبا النضير
نحن نلهو ولا نُعين من يعيشون فى سعير
كم مع الطهر من مُهين ومع البغْى من طهور !

شاعرَ الفن والخلودْ هات أُغرودةَ المساء
ذهب الصبحُ فى ركود لا دنانٌ ولا انتشاء
ودنا الليل للنشيد للأغاريد للغناء

وسَرتْ نَفحةُ الورود وبدا البـدر فى صفاء
إنّ يوم اللقاء عيـــد للذى شـــفه الجفاء
صفْ لنا رقةَ الخـدود صف لنـا أنجمَ السماء
ها هنا ملهمٌ وعـــود وهنا السحرُ والرُّواء
وهنا الشاطىء السعيد لا ضجيجٌ ولا عُـواء
غير همس الصدى البعيد جاءنا يَطْرُقُ الفضاء
أيها الخافقُ الشهيـد أنت لا تدرك القضاء
خذ من العمر ما تُريد فهو يوماً إلى انتهاء ! !

سواكن

« زار الشاعر بلدة سواكن ذات الماضى الحافل المثير فسكب على أطلالها هذه الدمعة الحارة »

حىِّ الطلولَ الباليـــهْ واسكبْ دموعَك غاليهْ !
وتغنّ باللحن الحـزين على الديار الخـــاويه
هذى « سواكن » قد بدت مثل العروس الباكيه
تختـــال فى أسمالهـــا أسمالِ ماض واهيـــه
والبحر فى أنحائهـــــا يُصغى بأُذْن واعيـــه
ويضُمُّ أطرافَ « الجزيـــرة » كالرءوم الحانيـــه
يا غـادةً عصفَتْ بهـــا ريحُ الزمان العـاتيه

منى إليـــكِ تحيتى رغم الأسى وســـلاميه !

إنى وقفتُ على البِـلى أرثى الذرا المتداعيـــه
وأطوف بالماضى الســـحيق وبالمغـــانى الثاويه
أرثى لـــعز زائل وربوعِ حسن خاليه
وإذا بقلبى فجـــأةً تسطو عليـــه غانيه !
خرَجَتْ تتيـــه بحسنها فى مشـية متهـــاديه
تلتفُّ فى ثـوب الســـواد .. نضـيرةً متباهيه
ناديتُهـــا .. لكنها لم تستجب لنـــدائيه
ومضت تُشيح بوجهها عنى .. وعن إعجابيه
ومضيتُ إثرَ جمالهـــا إثرَ العيون الداعيـه
خبّرتهـــا أنى فتًى عفٌّ يصوغ القافيـــه
شعرى يزين بهـاءه سحرُ الوجوه الباهيـه
فتبسّمت وتقـــدمت منى بنفس راضـــيه
الحسن ملءُ إهابهـا والوجدُ ملءُ إهابيـــه
وسألتها فى لهفـــة عما بهـــا .. عما بيه
فـــرنت وقالت إننى أُدْعى ـ فديتُك ـ «آسيه»
قومى ! ومن قومى سوى أهل القلوب الجافيـه ؟
قد خلفونا هاهنـــا مثـــلَ الزهور الذاويه
أُنظر إلى هـــذى الطلو ل وكم بها من غانيه

بالأمس كانت جنـــة فيهـا العيونُ الجاريه
فيهـــا المحاسنُ والطـــرائف والمجالى الزاهيـــه
واليوم أظلم حظُّهـــا يالَلحظوظ الكابيـــه
أين الزوارق والســـفا ئنُ فى الشواطىء راسيه ؟
والغيـــد تمرح كالمها فوق القصور العاليـــه
أين القيـــاثر والمزاهـــر والفنون الراقيه ؟
البحـــر أصبح هادئاً لا رائحٌ .. لا غاديه
والحسن غابت شمسه لولا البقايا البـــاقيه
واليـــوم حطّ رحاله حيثُ الطيورُ الشاديه
ياشـــاعراً يصف المشـــاعرَ .. صفْ دموعى الراثيه
بالله بلِّغ قومنـــا هـــذى المآسى الداميه
خـبرْهُمُ عنـــا وعن مجـــد ثوى فى هاويه
علّ الذى كتب البلى يُحيى المعـــالم ثانيه !

هذى روايةُ قصـــة ما كنتُ إلا الراويه !
عينى رأت آثارهـــا والأذْن كانت صاغيـه
لهفى على ذاك الـــترا ث .. على الليالى الماضيه !
لهفى على ذاك الجمـــا ل مصفّداً فى زاويه
والبحر ! أين البحر من تلك الخدود الناديه ؟
الموج يرقُصُ وحـــدَه والحسن يكمنُ ناحيـــه !

يا موطنَ السحر المقيم أما شجاك رثائيه ؟
وعلمت أنك فى دمى رغم الديار النائيه
هل من جديد مشرق يحيى الرفات الفانيه ؟
ويعيد أيام الصبا يا الفاتنات كما هيه
ويعيد مجداً قد يعاد إذا العزائمُ ماضيه
إن كنتَ تذكر وقفتى هذى . . وتذكرُ حاليه
فاذكر على مر الزما ن شعورَ نفس وافيه
إنى إذا ما شفّنى وجدى بذلتُ فؤاديه
لو يفتدى ذاك الترا ثُ فديتهُ بحياتيه ! !

ذكريات

إذا ما زقزق العصفورُ جذلاناً على البانِ
وأشجى البلبل الصدّاح مأسورَ الهوى العانى
وغنّت قُمَريات النيل فى أدواح بستان
تذكر صوتك المنسابَ من عَلْيائه سحرا
وحنّ إليكِ ملهوفاً يذوِّب نفسَه شعرا !

إذا ماهبّت الأنسام تُهدى عابقَ النشر
وسال الجدوَل الرقراقُ بين الورْد والزهر

وجاء الصبح يروى للورى أغرودةَ الفجر
تذكر رقةً كانت كأنفاس الندى عطرا
وإشراقاً حباه الله من آياته الكبرى

إذا مالاح ضوء البدر بعد اليأس للسارى
وعاد النازحُ المحروم من ليلاه للدار
ومال الإلف نحو الإلف فى شوق وإيثار
تذكر يوم لقيانا وكان الروضُ مخضّرا
وعهداً قد قطعناه فبات على المدى سرا

إذا مادام هذا النأى رغمَ الحب والوجد
ولم تشفع له حال من البلوى ولم تُجدِ
وحلّ الهمّ والتسهيد حيثُ مناهلُ السعد
سيذكر أنك الوحىُ الذى كم ألهم الشعرا
ففى الذكرى عزاءٌ للذى لا يَجحَدُ الذكرى ! !

قصة قلب

(هذه قصة القلب المعذب فى جميع أطواره) .

طاف يستعرضُ الحياة مَليا ... خافقاً بالحيـــاة غضّاً فتيا
قد شجاه الغناء حتى تراءى ... كل مافى الحياة لحناً شجيا
يستمد الخيال من كل مرأىً ... عبقريّ قد يُلهم العبقريا
ومضى يسمع القفـارَ أغانيـــه ولم يعدُ عمـرَه الذهبيا !

أرأيتَ الرياح تعصف عصفا ؟ ... أرأيتَ السيولَ تجرف جرفا ؟
هكذا كان ليـلَه وضحاه ... لم يكن فى الحياة يعرف عُرفا
كلما شـــام زهرةً تتجلى ... فى نضير الجمال أزمعَ قطفا
وتغنّى بحسنها غـــير دار ... أن هذا الغناء للحب زلفى !

هو بين اثنتين : نفسٍ تَملُّ ... وفـؤادٍ يروم مالا يُحَـلُّ
كم تمنى أن ينهبَ العمرَ نَهْباً ... ويُغالى فيما ينالُ ويغـــلو
شرعةُ الحب عنده نزواتٌ ... طائشاتٌ . . ومرتعٌ مستقل !
هو قلب يرى الملذّة كسبا ... وهى نفسٌ تُحيد عما يُضِل !

هكذا مرت السنون فأضحى ... يحسب البعدَ والتكتُّم ربحا
صار فى لَجَة الصبا مستعيناً ... بإباء يُعين فى كل منحى

كلما عارض الجمال تولى ... عند نداء من الجمال ألحّا
يحبِسُ الدمعَ كى يُقالَ جليدٌ ... ويُدارى الأسى لِيَنْكأَ جُرحا !

ويح هذا الغرير كيف يُطيقُ ... سحر تلك العيون وهو عميق ؟
غمزاتُ الصبا الضحوكِ تناديه ويُغرى فؤادَه التشويق
فتنةٌ حيثما راح يرنو ... وكؤوسٌ مملوءة . . ورحيق
ونداء محبّب واصطخابٌ ... يستزيد الرفيقَ منه الرفيق !

أتُراه يظل رغم الشبابِ ... فى ابتعاد عن الهوى واجتنابِ ؟
إن عهد النضوح ياصاح نهبٌ ... للغرام العصوف دون حساب
سوف يسعى إلى الجمال حثيثا ... فى مجاليه .. فوق متن السحاب
قيمة الحب أن يكون عصياً ... دونه واللقاءُ ألفُ حجاب !

ودعاه الغرام يوماً فلبّى ... ياله هذا الغرام يعصر قلبا
جاءه ذلك الجرىء « كيوبيدُ » بسهم أصاب منه فأصبى
نظرة حُمِّلتْ من السحرِ مالم ... يحتملْه . . فبات هيمان صبا
وسقاه الغرام أول كأس ... من رحيق الحياة تنضح حبا !

ياأسيرَ العيون أين الفرارُ ؟ ... كُشِفَ اليوم عن هواك الستار !
ذلك « الليل » لم يكن غيرَ نصر ... للذى لم يَفُت عليه انتصار
خلِّ هذا الجمودَ واستغفر الحب فلولاه ماسَمَتْ أشعار
وأتلُ للعاشقين أنباءَ حب ... سطّرَتْه — برغمك — الأقدار !

يالهـــا من صبيةٍ حسناءَ ذات روح تخـــالُه الأنداءَ
فتنتْه وصادفتْ منـــه قلباً يرقبُ الحسن صبحَه والمســاء
ليس من طبعها الأبيِّ وصالٌ فهى فى قمة السماء عَـــلاء
هى نور أضـــاء غبّ ظلام غمر النفس بهجة وصـــفاء

ومضى يعزف النشـيد افتتانا مفرطَ الوجـــد هائماً هيمانا
يتغنّى بفرحـــة الحب حيناً ويوارى دمـــوعه أحيانا
كلما جاء بالمطالب منّتْـــه فزادت شـــعورَه تحنانا
وهو يخشى اللقاءَ أن يتناءى وهمومَ البعاد أن تتدانى !

كان فى حبـه النقيِّ مثالا رغم صـــد يبدد الآمالا
هى تنأى وجذوةُ الوجـد تزداد اضطراماً ـ على المدى ـ واشتعالا
عرفت حبّه فضنّتْ عليـه لذةُ الحب أن يعزّ منالا
كم أقضَ المحبّ منه اشتغالٌ كاد ـ لولا المنى ـ يَصير خبالا

ومضى العام والزمان يحولُ يالعام أضاعـــه التعليل
وتلا العـامَ آخرٌ فتهاوى فى سَـــقَام محبُّه المملول
خـــبّروه بحـاله فتأسّى وأتى بالسؤال منـه الرسول
عاده ساعة فعـــاد إليه من نعيم الوصال حُلْم جميـل

ثم كان اللقاء بعـد الصدود بعد طول السقام والتسهيد
كان يوماً من الخلود تجلت فيه كالشمس أقبلت من جديد

بين عذب من الحديث و بشر وجلال يجل عن تحديد
وصفاء كأنه نفحُ عدنٍ أو مجالى نعيمها الموعـود !

ومضى الناى بعد طول الهجوع يتغنى بأُغنيـات الربيع
يُسمع الليـلَ فرحة الشعر بالحب . . وكم ضجّ ليلُه بالدموع
صدَحاتٌ سمت وطار صداها من رقيق الغناء والترجيع
هى تصوير عاشق مفرَط الوجـد وإلهامُ شاعر مطبوع !

هكذا كان مذ حبَتْه الودادا لا يَمَلُّ الغنـاءَ والإنشادا
وجدتْ فى هـواه أقصى الأمانىِّ وألفى لدى هواها المرادا
وإذا بالوصال يُضفى على القلبين نوراً من المـنى وقّادا
وإذا بالهوى يخـلد سفراً من حياة أعدّها إعـدادا !

غير أن الزمان كان ظلوما فأبى أن يُديم ذاك النعيما
بدَّد الصـفوَ والهناء أُناس سعيُهم للشقاق كان أليما
قد تصدوْا لحبنا دون ذنب ومضوْا ينفثُون فيه السموما
وأشـاعوا مزاعماً باطلاتٍ فعلُها فى الشقاق كان عظيما !

وأضاع الشقاق جنـة عدن من محبيْن أفرطا فى التأنى
وأثار الوشاة ـ والحقـد داء ـ حول عُش الغرام أسوأَ ظن
ومضى العاشق الوفىُّ يعانى ما يعانى من فرقـة وتجنٍّ
وقضى الله أن يكون بعيـداً رغم حب ـ على المدى ـ مستكنٍّ !

ثم كان الجفاء ـ والنفس حيرى ـ من حبيب جفا وأزمع هجرا
لم يكن جائراً ولكنّ قولا من ضعاف النفوس قد كان مُرا
فانزوى مُكرها وخلّف أشجانا لنفس تفيض وجداً وذكرى
ليس ذنبُ الحبيب هذا ولكن غدرُ من أوسع الأحبة غدرا !!

ليته لم يجـــدّ فى الإسراع أو يكن للوشاة بالمطواع
ليته جاءه ليعرف منـــه أىَّ سعى سعاه أهل الخداع
هم أرادوا ـ وكان ماقد أرادوا ـ أن يظلَّ الفؤادُ نهبَ التياع
لو تأنى لما تبـــدل شىء من غرام مضى بغير وداع !

تلك يا صاح قصـةُ المهجور قصةُ الشاعر النزيه الضمير
قصة الحب فى أجل معانيهـــا تجلت فى أروع التصوير
لم يزدها الزمان غير خلود وسموٍّ عن خدعة وغرور
سوف تبقى كأنها بنت أمس قصةَ النبل والهوى والشعور ! !

تحيـــة بطل

« مهـداة إلى اللواء محمد نجيب منقـذ مصر العظيم بمناسبة نجاح حركة الجيش فى يوليو سنة ١٩٥٢ »

أُهـديك من طِيب الجنـــوب تحيةَ الوادى الخصيبِ
وأسوق إعجابى بما أحـــدثتَ من نبـــأ عجيب
هزَّ البـــلاد بأسرها وغـدا أحاديث الشعوب

لما طلعتَ على الطغا ... ة تذود عن شعب حبيب
لمحوا الثبات مكمّلا ... فى وجهك السمْح المهيب
لم ترهبِ المُلْكَ العتيـ ... ـدَ ولم تخفْ دسَّ الريب
وخطوتَ خُطوة ضيغم ... حرٍّ تهيأ للوثوب
أنقذتَ يابن النيل شعبَ النيل من ذل مُعيب
وغمرتَ مصرَ وأهلها ... بالسعد من بعد الكروب
من كان يحلم بالتخلص من أذى العهد الكئيب ؟
ويظنُ شمسَ سمائه ... يوماً ستأذنُ بالمغيب ؟ !

وصفوكِ يا أرضَ الكنا ... نة بالتدهور والقطوب
ونَعَوْك فى يوم « الحري ... ـق » غداة مأتمكِ الرهيب (١)
عمتْك أدواء الفسا ... دفكنتِ بادية الشحوبِ
حتى أتى الجيشُ المظفَّـ ... ـر شاهراً سيف الرقيب
أهوى على أيدى الذئا ... ب بقبضة الليث الغضوب
وأطاح بالعرش المقيـ ... ـم على المكايد والذنوب
مجَّدْت فيه شجاعةً ... هيهات تحفل بالخطوب
وبراعة طلعت على التأ ... ريخ فى ثوب قشيب
أهدتْه أصدقَ صفحة ... فى العزم والرأى المصيب !

يا أيها البطلُ « النجيـ ... ـب » ملكتَ ألويةَ القلوب
الشرق هلّل يوم ثر ... تَ على المطامع والعيوب

---

(١) إشارة إلى حريق القاهرة المشئوم .

والعُـرْبُ بين مصفق ثمل ومحتفـــل طروب
أما الجنـــوبُ ولا أخال لك ناسـياً أهل الجنوب
فلقـــد أهجت شعورَه بالجـد فى الوقت العصيب
لا ريبَ أنك قد بلو ت دسائس العهد الكذوب
وعرفتَ أن لقـاءنا قد كان فى شك مريب
أنت الذى خـبر الجنو بَ وعاش فى السهل الرحيب
فاعمل على كسب الثقا تِ بفضل مسعاك الدؤوب
فاليوم عيـــد للقلو ب من الشمال إلى الجنوب

اتفاقية السودان

« القصيدة التى ألقاها الشاعر بنادى حزب الأمة بمدنى فى يوم الاحتفال بامضاء اتفاقية السودان فى فبراير عام ١٩٥٣ »

طرب الخيال غداة أُعلن للورى أنّ المساعىَ كُلِّلَتْ بنجـــاح
فشدا بسحرىِّ البيـــان مردداً طَرَبَ الفـؤاد بآية الأفراح
إن لم تُغَنِّ الشعر فى يوم العـــلا ما كنتَ يابن النيل بالصدّاح !
ما كان صعباً أن ننال مَرامنا وجهود قومى جرِدَّتْ لكفاح
قد وفِّق الطرفان بعـــد تناحر وأُتيح مجدٌ لم يكن بِمُتاح !
اليومَ عيـد للبـــلاد جميعها لافرق بين مدائن وضـــواحِ
اليـــوم ينتظم القلوبَ تكتلٌ وتضافر نحو العـــلا الوضّاح
اليوم — باسم الله — نبدأ عهدنا خطـــواتِ عز خالد لمّاح
ونخط للسودان أروعَ صفحةٍ تمتـــاز بالاتقان والإيضاح
وطنٌ يظللنا صـــفاء سمائه نَفـــديه بالأموال والأرواح !

صدى الاتفاقية

« القصيدة التى ألقاها الشاعر بنادى الحزب الوطنى الاتحادى بمدنى بمناسبة احتفاله بالاتفاقية »

حيِّ الشبابَ وروحَه المتفجرا ... وامدُدْ يديك مهلِّلاً ومكبرا
واسكب على سمع الزمان خواطراً ... يوم الخلاص.. فما أغرّ وأبهرا
وانظم من الشعر الرصين خريدةً ... واستوح — ياطلْق الخيال — المزهرا
وتغنّ ما طاب الغناء فقد بدا ... فى الأفق نجم بالعَلاء مبشِّرا
لاهمّ بعد اليوم إلاّ أن نرى ... بعد المظالم شعبَنا متحررا !

قالوا هجرتَ الشعرَ من زمن مضى ... أرضيتَ بالتأخير أم ماذا جرى ؟
فلكم أهجتَ بما نظمتَ نفوسنا ... وشعورنا . . ولكم هززت المنبرا
قلت اعذرونى لم أكن متأخراً ... يوماً ..معاذَ الله أن أتأخرا !
لكنّ شعرى لايَفيض شعورُه ... مالم أكن بدوافعى مُتأثرا ؟
أمِنَ التناحر والتباغض أستقى ... شعراً يُخلِّدُ ذكره بين الورى ؟
بالأمس كنا والشقاقُ حليفُنا ... واليومَ يجمعنا الوفاقُ كما نرى
أرأيتُم فعل الوفاق بأُمة ... لعبَ الخلاف بها زماناً أغبرا ؟
زعماء هذا القطر يوم تقدموا ... عوّذتهم من أن يعودوا القهقرى
ما كنتُ قبل اليوم طالبَ وحدة ... ماضى الكنانة لا يريد مفسرا
حتى بدا فى الأفق من تهفوله ... مصرٌ فقلّدها الوسام الأكبرا

وأحالها بعـــد الفساد وظلمه ومكايد « السفاح » روضاً أخضرا
وأتاح للسودان فرصته التى جمعت — على رغم العداة — المعشرا
مسعاه معجزة القرون فما سعى سعياً وكان نجاحه متعذرا !

مرحى بيوم المجد بسامَ الرؤى نختال فيه كأننا أُسْدُ الشرى
مرحى بيوم النيل بعد تكدر النيل منذ اليوم لن يتكدرا
هذا البناء ولن يقوم أساسه مالم تكونوا للنزاهة مصدرا
سيؤول دستور البلاد إليكم فتخيّروا من كان فيكم خيِّرا
لا تشتروا ذممَ الرجال بمالكم فالمجد شىء لا يُباع ويشترى !
فَلْتنظروا مصراً ومن ذا حطّمت مصرٌ من الحكام إلا الفجّرا
الحكم يبقى إن سمت أخلاقه ويؤول للتدمير إما استهترا
إنى لأرجو صادقاً أن تلتقى آمالُنا ونعيش عيشاً أزهرا
ونسيرَ فى ركب الفخار وحالُنا حال تزيد الحاسدين تحسُّرا
ردد معى يا دهرُ فليحيَ الحمى وليحيَ هذا الشعبُ مرفوعَ الذرا !

نهضة شعب

« القصيدة التى ألقاها الشاعر يوم الاحتفال بالاتفاقية بزاوية شباب الختمية بمدنى » .

سلاماً يا بنى قومى ســـلاما وإعجاباً بروح قد تســـامى
ســـلامَ مواطن ما بات إلّا على أمـــل يؤرقه دواما
سلام متيم سهر الليـــالى يبث الشوقَ أو يشكو الغراما

يصوغ لكل مَلْحَمة نشيداً ... فيُوقدها ويُذكيها ضَراما
ويُهدى كلَّ فاتنة صُداحا ... يَفيض صبابةً ويرق جاما
أُحبُّك يا بلادى . . إن وجدى ... قديمٌ قد تملّكنى غُلاما
رأيتُ هواك لا يَزداد إلا ... رسوخاً فى فؤادى واعتصاما !

بنى قومى أصيخوا لى فإنى ... أرى نُصحى وتوجيهى لزاما
شجاكم أمس من قلبى كلام ... وصغت اليوم من عقلى كلاما
أجل قد أبرم الطرفان عهداً ... جميلاً يقتضى الّا نُضاما
وأن نُعطى الحقوق بلا مراء ... وأن نَرثَ المناصب والزماما
ولكن خَشيتى أن يلزمونا ... بمن لا يعرفون لنا التزاما
وأن تعطوا الثقات لبرلمان ... هزيل لا يَصون لكم ذماما
وألاّ تحسنوا استبقاء ضيف ... أقام — برغمنا — فيمن أقاما [1]
فتضطرب البلاد وذاك داءٌ ... كفيل أن يُميط لنا اللثاما
فلا تمشوا الوراء وقد بدأتم ... بل امضوا ـ طاب مسعاكم ـ أماما
وما دام الشباب الحرُّ فينا ... معاذ الله أن نحيا سَواما
إذا ما صار للسودان شأنٌ ... ونال بفضل مسعانا المراما
فكل يد تود النيل منه ... سنحطمُها ونهزمها انهزاما
فكونوا وحدة عظمى وصونوا ... حقوقَ الشعب بَدْءًا واختتاما
سيفنى الفردُ مهما نال جاهاً ... ويبقى الشعب للعليا قواما !

---

(١) الضيف هنا التاجر الأجنبى .

ألا يا فتيةَ النيـــــل المفدّى كفى النيل اختلافاً وانقساما
نريد الشعبَ يُدرك ما عليه ويتبع السكينةَ والنظـــــاما
إذا ما قام معـترضٌ ليُدلى برأى .. لا تقولوا قد تعامى
فرّب حقيقة خَفِيَتْ عليكم أزاح الستر عنها واللثاما
ألا حيا الإلهُ قيامَ شـــعب أزال الغَبنَ عنا يوم قاما
وباركها خطىً نحو المعالى أضاءت غيهباً ومحَتْ ظلاما
غداة غـــد ستعرفنا الليالى أُباةَ الضَيم لا نخشى الصداما
سنملأ صفحة التاريخ مجداً يكون لما جنى الجانى ختاما !

عيد الأسرة والإسراء

« القصيدة التى ألقاها الشاعر بنادى حزب الأمة بمدنى ليلة احتفاله بعيد الأسرة والإسراء »

من عيون القريض والإنشاء هات إنشادَ ليلة الإسراء
هات ماطاب من رصين القوافى يومَ معراج خاتَم الأنبياء
ربَّ شعر نظمتَ فى اكرم الخلـ ـق يُواسيك ساعة النكباء
ساعة الهول ـ والذنوبُ جسامٌ ـ والخطايا تزيد عن إحصاء
ما ادَّخرنا سوى النفاق وماذا بعد فرط النفاق من أخطاء ؟
خلِّنى للعـلا أصوغُ أناشيـ ـدى وأهدى الرسولَ عذبَ غنائى
إنها لحظـة أُتيحت لأحظى بالتـدانى فى الليـلة الليلاء !

أكرمَ الخلق ما ذكرتك إلّا ... غمرت مهجتي معاني الصفاء
نفحة منك تسترد انشراحي ... وتُنير الطريقَ في ظلمائي
أيُّ نور رأيت يا آية الكو ... ن ومولى الهداة والحكماء !
أي سرٍّ عرفتَ ، بل أيُّ مجد ... نِلْتَ ، عند الحظيرة الزهراء
سدرةُ المنتهى شجاها التمثّلي ... في جمال مكمِّل السيماء
حين راح النبي يسعى إلى العليـ ... ـاء في موكب فريد العَلاء
موكبِ الطهر والنبوّة والإلهـ ... ـام والوحي والهدى والضياء
موكبٍ يلتقي النبيون فيه ... ويغضون عنه في استحياء !

هذه الأسرة التي تتردى ... في مهاوي الفجيعة النكراء
من تُرى يدفع الفجيعةَ عنها ... غيرُ من رام رفعةَ الأبناء ؟
غيرُ من همُّه ارتياد المعالي ... واكتمالُ البناء والإنشاء !
سر هذا الفساد والخلقُ المعـ ... ـوجِّ يا قومُ من غلاء النساء
كم صبيٍّ يشيخ وهو يعاني ... وحشةَ الدار من فم وضّاء
وفتاة تحطمت في صباها ... وهي تشكو تعنت الآباء
لا تخالوا البناتِ سلعةَ بيع ... فتغالوا في الأخذ والإعطاء
سنةُ الله في الخلائق طرًّا ... آدمٌ قاصرٌ بلا حوّاء !

يا عليماً بالجهر والإخفاء ... ومُجيراً في ساعة الضراء
قد رجعنا إلى الوراء وخُضْنا ... في خضمّ الفساد والإغواء
غمرتنا الحياةُ باللهو والتضـ ... ـليل والنفسُ طُعمةُ الأهواء

هـذه ليـــــلة تبز الليالى جئت فيها والطرفُ فى إغضاء
جئت فيها والحب ملء إهابى والولاء العظيم ملء ردائى
أرتجى منك أن تُعيدَ إلى الإســـلام ما انهَـدَّ من عظيم البناء
أرتجى منك أن تُبوئَنـا العليا ءَ والمجـــدَ يا محطّ الرجاء
هـذه ليـلة الحبيب المفـدَّى ليـلةُ الحمـد والسنى والسناء
فاغفر الذنب ذنبَ قوم اساءوا يا إلهى .. ولا تُخَيِّب رجائى !!

عيد الهجرة

« القصيدة التى ألقاها الشاعر بمناسبة الهجرة النبوية
عام ١٣٧٣ هـ بجامع الدباغة ونادى الخريجين بمدنى»

عودى إلى الشدو يا قيثارتى عودى ورددى فى الورى أشجى أغاريدى
عودى رعاك الذى أولاك معجزة فى الشـدو ما أوتِيَتْ إلا لداود
عودى فقد عادت الذكرى بروعتها تروى البطولةَ عن أسلافنا الصيد
عودى فقد جدّت الأحداثُ صاخبةً ما بين نفىٍ وتقتيل وتهـــديد !
هـــذا محرمُ قد هلّت بشـائره ولاح منـه المنى من بعـد تنكيد
العُرْب فى مَشرِق الدنيا ومغرِبها يستبشرون به فى فرحة العيـد
فرددى من قوافى الشـعر أخلدَها لا يخلدُ القولُ إلا فى أناشـيدى !

أهلاً بغـرة عام كلُّهـــا ألَقٌ يا طالمـا ظفرتْ منـا بتمجيـد
فى كل عام نراها ملءَ أعيننـا نوراً .. فنحسبُهـا بشرى لمكدود

هل من جديد لعهد نستظلُّ به ... من غير ما كذِبٍ يُرجى وتفنيد ؟
هل آن للشعب أن يُعطى مطالبَه ... وللمبادىء أن تَحظى بموعود ؟
أيذهبُ العامُ فى غمٍّ وفى ألم ... أم ان بالعام ما يُوحى بتجديد ؟
إنى لأنصحُ ألّا تتركوا أثراً ... لخاطر كاد بالآمال أن يُودى
إن تبدُ تفرقةٌ منكم تطبْ لهمُ ... فيذهب الوقتُ فى مَدٍّ وتمهيد
لسنا نريد خلافاً حول غايتنا ... فالخلفُ يا قومُ كم أودى بمجهود
لسنا نريد ارتباطاً ليس ينفعنا ... مصالحُ الشعب لا ترضى بتقييد ![1]

يا غرة العام قصِّى من مفاخرنا ... إنا إلى مجدنا أنضاء تَزويد
هاتى الحديث عن الهادى وعِترته ... أهلِ المكارم فى بأس وفى جود
من كل شهم تعالتْ منه صَيحتُه ... يوم الجهاد . . ومن نادى ومن نُودى
ثاروا على الجهل سبَّاقين يدفعهم ... إلى الكفاح نداءٌ غيرُ مردود
فى يوم بدر أحالوا البيد مجزرة ... وجندلوا فى ثراها كل صنديد
الله وحَّد بالإسلام غايتَهم ... وجاءهم بِرسول منه مودود
قضى على الإرث من أصنامهم ومضى ... كالسيف يَحطِم موروثَ التقاليد
هذا بلالُ ينادى بالصلاة على ... رغم العداة بقلب غيرِ رعديد
وذا علىٌّ يفدِّى بالحياة لكى ... تمضى الرسالة فى عز وتأييد
يامن تراءت له أسماء مشرقة ... تفتر عن أشنب كالدر منضود
تمشى إلى الغار فى عزم وفى ثقة ... وتتقى برداها لفحة البيد

---

(١) رابطة الشعوب .

هذى صحائفُ أملَتْها بطولتُهم وأفردت بعضها للخرّد الغيد !

قالوا العروبة قد آلت لجامعة ترعى المصالح فى حزم وتوكيد
فى كل يوم لهم جمعٌ ومؤتمر على لجان تُلاقى كل تعضيد
فأىُّ شىء أصَبنا من تكتلهم سوى اتحاد سقيمِ القصد محدود ؟
بالأمس ضاعت فلسطينٌ على شجن تبكى الوفاءَ وإخلافَ المواعيد
واليومَ هذى « فرنسا » أطلقت يدها على مراكش فى كل المقاليد !
آوَتْ على الرحب من صانوا مودتها وشرّدت من تصدوْا كل تشريد
فأينُ جامعةُ الأقيالِ من فِتَن هيهات ترحل عنّا دون تجريد ؟
يا قوم ليس التأسى كلَّ بُغيتنا جرحُ العروبة محتاجٌ لتضميد
أهذه يقظةُ الأبطال صارخةً ؟ أهذه ثورةُ العُرْب الصناديد ؟
لسنا نتوقُ إلى عز ومَكْرُمة ما دام فى شرقنا شبرٌ لمطرود !

يا غرة العام أعيَتْنا مفاسدنا زيدى سناءَك فى أرجائنا زيدى
علّ الذى جعل الإسلام شرعتَنا يعيد للشرق مجداً غير مجحود
يعيد للدين دنياه التى وُئدت فالدين إن عاد عاش الشرق فى عيد
لا تحسبينا لهوْنا العمرَ مَعصية لكنه هو حالٌ غير محمود
رباه أدرك نفوساً ليس ينفعها سوى ضيائك فى أيامها السود !!

أمل العروبة

(ألقاها الشاعر فى احتفال الجالية اليمنية بحدائق المديرية بمدنى تكريماً للمجاهد الكبير السيد محمد محمود الزبيرى رئيس الاتحاد اليمنى بمصر) .

داعى العروبة والإسلام نادانا ... فى محفلٍ جاء بالإخلاص مُزدانا
وهل يُرَدُّ نداءٌ كلـه أملٌ ... فى مجد قوم توارَوْا عنه أزمانا
يا شاعرَ القوم غرّد هاهنا طرباً ... ونسِّق الشعرَ أنغاماً وألحانا
هذى الوجوهُ بما تحويه من أدب ... جمٍّ قد ابتهجت بالفضل مذ بانا
فذلك الرجلُ المرهوبُ جانبُه ... قد طبّق الجوّ آداباً وعرفانا
سعى لرفعة أهل الضاد محتملا ... فى نُصْرة الحق تشريداً وطغيانا
وراح يقتحم الأقطار تكلؤه ... رعايةُ الله رحبَ الصدر جذلانا
حتى أقام بمصر كى يُقيمَ لنـا ... من قوة الدين والإسلام بُنيانا !

يا أيها الشاعرُ الفيّاضُ خاطرُه ... أتاك بالشعر حادى القوم نشوانا
لقد دُعيتُ لكى يَحظى بكم أدَبى ... ولن يُطيق فتى الآداب عصيانا
إن لم تكن بيننا من قبلُ معرفةٌ ... ولم تنل مهجتى من ودكم شانا
فقد تفيضُ شعور النفس إن تُليتْ ... مآثرُ الحمد فيمن فاض إحسانا
لقد سمعتُ بكم من نُخْبة جمعت ... أسمى الفضائل أشياخاً وفتيانا
لقد سمعتُ عن العدل الذى شهدت ... به بلادُكمُ إذ كنتَ ميزانا

وقد رأيتُ .. فزادت رؤيتي مقتي ... وهل أُريدُ لذاك الفضل برهانا ؟
تكفيه نفسٌ ـ رعاها الله ـ صادقةٌ ... ترى المذلة والإذعان كفرانا !

يا أيها الزائر الراجي أُخوّتنا ... لقد لقيت مع الإخوان إخوانا !
ما أنت ضيفٌ و إن شطّت مرابعُنا ... عقد العروبة حيّانا وأدنانا
إن العروبةَ جسم لا انفصام له ... لا يعرف الجسم أجناساً وأوطانا
إن جئت «دجلة» قد شاهدت ليبيةً ... أو زرت «نجداً» فقد حييت «لُبنانا»
و إن دعاك الهوى يوماً إلى «يمنٍ» ... فقد نزلت بها « مصراً وسودانا»!
لقد قدمت ودنيانا قد ابتسمت ... بعد الشقاء ، ودنيا كم كدنيانا
لقد قدمتَ وماء النيل مندفعٌ ... والروض مزدهر رَوْحاً وريحانا
لقد قدمت وهذا الشعب يدفعه ... إلى العَلاء نداءٌ صار إيمانا
فالمح ـ فديتُك ـ نوراً ظل مرتقبا ... دهراً .. وفجراً بدا في الأفق فتانا
وخبِّر القوم أنا ها هنا نفر ... لا نبتغي غير مجد العُرب إعلانا
إن قام للبذل في الأرواح داعيةٌ ... جئنا إليه زرافاتٍ ووحدانا
هيهات أن يُفسدَ الباغون وحدتنا ... إذا وقفنا تجاهَ الحق إخوانا ! !

دموع القلب

(القصيدة التى ألقاها الشاعر فى تأبين المغفور له صاحب الفضيلة الشيخ أحمد السيد الفيل فقيد الدين والوطن) .

كيف لا أبكيكَ بالدمع السخين ... يا فقيداً كان خيرَ الراحلين ؟
كلما مرّ بنا يومٌ على ... فقدكَ المشئوم أعيانا الحنين ؟
نسأل الأيامَ أن تُصدقَنا ... أين ولىّ ذلك الذخرُ الثمين ؟
أين ولّى بعد أن خلّفَنا ... فى ظلام دامس لا نستبين !
سار والأنظار ترنو نحوه ... تبتغى الرجْعى ولكن لات حين
وسرى فى القطر حُزْنٌ شامل ... يوم أن واروْه فى دارشطون
كان يوماً مفرداً فى غمّه ... مستفيضاً بالمآسى والشجون !

يا نزيل القبر : هذى آهةٌ ... من محب دامع الطرف حزين
طالما أشجاك بالشعر وكم ... زنْتَه بالعطف من حين لحين
لم يزل فضلُكَ يجرى فى دمى ... كيف ينسى الفضلَ ذو قلب أمين ؟
لهفَ نفسى ! حسبُ نفسى أنه ... مات سيفُ الدين والحصنُ الحصين
سرتُ والنعشَ حزيناً صامتاً ... غائرَ العينين مكبوتَ الأنين
خاننى القول فلم أمْلِكْ سوى ... دمعةٍ أودعتُها قبرَ الدفين
قد سألتُ الشعر أن يسعِفَنى ... برثاء من قوافيه رصين
فانزوى عنى وخلّى خاطرى ... يستمد الوحىَ من فيض العيون !

قسماً أنشأت هـــذا باكياً غيرَ ما وعى . . ودمعى لا يهون
وتمشّتْ رعـــدةٌ فى أضلعى رعدةَ الباكى على الأم الحنون
خلنى أبكى فقـــد ودّعنا غيرَ عوْدٍ من به الدهرُ ضنين
ذهب البـــدرُ الذى نُزهى به واختفى فى إثره النـور المبين
قد مضى ذاك الذى إن جئتَه ساعةَ البأس بدا طلْقَ الجبين
قد مضى ذاك الذى ما صدّنا والذى لم يَرض فينا ما يُشين
يسمع الشكوى رفيقاً هادئاً ويسوِّى الخلْفَ فى عطف ولين
لا يقيس المـــرء إلا بالنهى والذى يحويه من نُبل ودين
لم يكن يُرضيه فى النشىء سوى همةٍ كبرى وقلبٍ لا يلين !

أيها الراحـــلُ عنّا ما الذى جـدّ فى أنحائنا حتى تبين ؟
أسئمتَ المُكث فينا زاهـــداً أم توليتَ وفى القلب شجون ؟
يا فقيـــد العلم والدين ويا ســـيرةً تبقى على مرِّ السنين
قم ترَ الشعب الذى خلّفْتَه حائراً يدعوك فى شـتى الشئون
قم تر المعهدَ مســـلوبَ النهى غاب عن ساحته الهادى الأمين
قم تر التعـــليم فى محنتـه جاهشاً يبكيك بالدمع الهتـون
قم تر الإصـــلاح يشكو حظه بعد أن بان إمامُ المصلحين
يا ملاذاً كان يرعى حقنـــا من لنا بعدكَ ؟ من للمعوزين ؟
من لآمال كبـار أصبحت فى طريق شـائك للآملين ؟
من لأطفال صـــغار طالما كنتَ فى بأسائهم خيرَ مُعين ؟

من تُرى يحنو إذ عمّ الأسى ... بالأيامى واليتامى البائسين !
كم مُنًى حقّقتَها للمشتكى ... ويدٍ أوليتَها للمستكين ؟
ومعانٍ ساميات صُنتَها ... فى هدوء واعتدال وسكون
كنت لا تفتأ تسعى جاهداً ... لائتلاف يشملُ القطرَ الطعين
كنت للسودان طوْداً شامخاً ... عجباً للطود يغشاه المنون ؟ !

يا بنى السودان هذى سيرةٌ ... يحتذيها المخلَصون النابهون
سيرةٌ لم تقعد السنُّ بها ... عن رغاب الشعب والحق المصون
نورها يسرى جميلا هادئاً ... مستضيئاً فى سهول وحزون
غير أن الموت وافاها ولم ... يرع آمالاً لقوم مُدْلجين
خطفتَ أيدى المنايا حجة ... فى سبيل الله لا تعدو اليقين
يا بنى قومى أفيقوا إنها ... غاية لابد منها أن تكون
فاسلكوا الدرب الذى مهده ... واقتفوه . . فهو بالحذْو قمين
قد يَخِفُّ الحُزْنُ إن سِرْتُم على ... خطوِه . . والمرء بالحسنى رهين !

أيها الشيخ الذى فى عزمه ... لا يُدانيه الشبابُ المخلصون
نَمْ هنيئاً إن ما قدّمتَه ... سوف يبقى فى سِجلِّ العاملين
أنت لم تبعدْ على رغم النوى ... كيف ينأى من له الذكرى قرين ؟
باسمك اللهم أنزل روحه ... منزل الأبرار بين الخالدين
وأَعِن أُمّتَه فى فقده ... واجعل السلوى لها فى كل حين ؟

شكر

يتقدم صاحب الديوان بأسمى آيات الثناء والتقدير للأستاذ الكبير عزيز أباظه ، لما أحاطه به من بالغ العطف والتكريم طوال اقامته بمصر ، ولما بذله من جهد عظيم فى ابراز الكتاب بهذه الصورة المونقة ، رغم ضيق الوقت والامكانيات .

كما يشكر حضرات القائمين بأمر مطبعة مصر على روحهم الطيبة ومساعداتهم القيمة .

لفتة

يبدو جليا للذين استمعوا الى الشاعر وهو يلقى بعض قصائده الاجتماعية أو قرأوها له ، أنها جاءت غير كاملة بالديوان ، وذلك لظروف خارجة عن ارادته .

قريباً ... للمؤلف :

١ ــ من وحى الرفاق : مجموعة من الشعر الاجتماعى

٢ ــ الشـــادى : قصائد غنائية قوميـــة

٣ ــ أحاسيس : ديوان شعر

استدراك

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١١	١	أحيا	أحيانى
١١	٧	ترنو	تُروى
٢١	٥	يعرف	يُغرى

فهرس

	صفحة
الاهداء	٣
مقدمة	٥
هذا الشعر	٨
لحن الأمانى	١٠
يا طيف	١١
هذا مذهبى	١٢
السعادة	١٤
نزعة نفس	١٤
صورة	١٦
وأخرى	١٦
صدفة	١٧
حلم الهجرة	١٨
تقديس وذكرى	٢٠
المجد	٢٢
حرقة الفراق	٢٣
مشاعر	٢٥
فتاة الشعر	٢٧
يقظة	٢٨
تغريدة المولد	٢٩
الظبى الغرير	٣١
أنشودة	٣٢
جمال معبر	٣٣
فتنة الهوى	٣٤
وطنى	٣٦
السودانى فى القتال	٣٧
صدى الذكرى	٣٨
أين قلبى	٤٠
العامل	٤١
لحن الفراق	٤٣
دنيا	٤٤
صديق اليوم	٤٦
الحسد	٤٨
رجعة الهوى	٤٩

	صفحة
ملكال	٥١
ابنة الفجر	٥٢
حنين	٥٤
الفاتنة	٥٦
سحر الجنوب	٥٨
نهاية الحرب	٦٠
نصير العلم	٦٢
نشيد الجنوب	٦٤
أمل ضائع	٦٥
وداع	٦٦
مناجاة قلب	٦٧
تحية كردفان	٦٨
أبو العلاء المعرى	٧٠
روح الجهاد	٧٢
حول يحول	٧٣
بين شاعرين	٧٥
أغنية الليل	٧٧
الجزيرة المجاهدة	٨٠
فى محراب الشاعر	٨٢
سواكن	٨٤
ذكريات	٨٧
قصة قلب	٨٩
تحية بطل	٩٣
اتفاقية السودان	٩٥
صدى الاتفاقية	٩٦
نهضة شعب	٩٧
عيد الأسرة والاسراء	٩٩
عيد الهجرة	١٠١
أمل العروبة	١٠٤
دموع القلب	١٠٦
شكر ـ لفتة قريبا ـ للمؤلف	١٠٩
استدراك	١١٠

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 074076678
(NEC)
PJ7846
.A424
I837
1954

مطبعة مصر
الشركة المساهمة المصرية
بالقاهرة

الثمن ٢٥ ص